بحوث ودراسات
في
تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية
- ١ -
معركة ملاذكرد

البيزنطيون والأتراك السلاجقة

في

معركة ملاذكرد

(١٠٧١ م / ٤٦٣ هـ)

في مصنف نقفور برينيوس

دراسة مقارنة للمصادر

تأليف
الدكتـــور
فايز نجيب اســـكندر
كلية الآداب ببنها ــ جامعة الزقازيق

١٩٨٤

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / فايز نجيب أسكندر
القاهرة

رفع
أحمد عبد الفتاح حسين

البيزنطيون والاتراك السلاجقة
في معــركة ملانكرد



لا يهدف هذا البحث الى تكرار او استعراض ما سبق ذكره فى المراجع الاجنبية والعربية عن « معـــركة ملاذكرد » (١٠٧١م/٤٦٣هـ) والدخول فى تفصيلات افاض المؤرخون فى ذكرها ، وانمـــا يهـــدف اساســـا الى ابراز المعلـــومات الجديدة التى زودنا بهـــا المؤرخ البيزنطى « نقفور برينيوس » «Nicephori Bryennii» — حفيد قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى — فى مصدره الهام « كتب التاريخ الاربعة » «Historiarum Libri Quattuor» وذلك فى محاولة لاضافة الجديد من المعلومات عن«معركة ملاذكرد»، اغفلتها كافة المراجع الاجنبية والعربية نتيجة تجاهلها هذا المصدر الهام .

فالاتراك السلاجقة تابعوا رسالة المسلمين فى قتال الروم ، وتمكنوا عقب انتصارهم فى « ملاذكرد » على البيزنطيين ، من انتزاع أرض الاناضول وصبغها بصبغة تركية اسلامية . وبذلك مهدوا للاتراك العثمانيين السبيل الى القضاء على الامبراطورية البيزنطية ، والوصول الى الاراضى والبحار الاوروبية ، فكان لهذا أثره البالغ والبعيد المدى فى تســـيير مجـــرى تاريخ وحضارة ومستقبل كثير من البلاد الاسلامية وغير الاسلامية ، والذى مازال بعضه ملموسا الى يومنا هذا .

هكذا تدخل « معركة ملاذكرد » فى عداد المعارك الحاسمة التى غيرت مجرى تاريخ العصور الوسطى عامة والامبراطورية البيزنطية خاصة .

وكان من الطبيعى أن تعتمد هذه الدراسة التحليلية النقدية على العديد من المصادر عربية وغير عربية . فاما المصادر العربية ، فمنها ما هو مخطوط لم ينشر بعد ، وما هو مطبوع . واما الاصول الاجنبية ، فمنهـــا البيزنطى

والارمنى والسريانى واللاتينى ، وبعضها لايزال بلغاته الاصلية التى كتب بها ، والبعض الآخر ترجم الى اللغات الاوربية الحديثة .

هذا وقد راعينا اثبات مختلف وجهات النظر كما عبرت عنها المصادر الاخرى من عربية وغير عربية ، المعاصرة « لنقفور بريفيوس » والمتـاخرة عنه نسبيـا ، فى حواشـى البحث . والهدف من ذلك عدم الاخلال بالنص الاصلى .

والله ولى التوفيـــق ؟

قسطنطينة فى أول يناير ١٩٨٤ . فايز نجيب اسـكندر

زودنـــا المــؤرخ البيزنطى نقفور برينيوس(١) «Nicephori Bryennii»
فى مصدره « كتب التاريخ الاربعة »(٢) «Historiarum Libri Quattuor»
على درجـــــة كبـيـرة من الاهميـــــة عن التفــاصيل المتـاولة لمعــركة
ملاذكرد (١٠٧١م/٤٦٣هـ) ، نقلا عن جده الذى كان من بين الذين نسجوا
مع العاهل البيزنطى رومانوس الرابع(١٠٦٨م — ١٠٧١م/٤٦٠م — ٤٦٣هـ)
خيـوط الهزيمة الساحقة التى منى بهـا الجيش البيزنطى على يد الاتراك
السلاجقة ، اذ كان جــده ــ المدعو نقفوربرينيوس ايضـــا ــ قائدا للجناح
الايسر للجيش البيزنطى . لذا ، امتـــاز مصنف نقفوربرينيوس بتزويدنا
بتفـــاصيل التكتيكـات الحربية وفنون الحرب لدى الطــرفين المتصارعين ،
فأصبحت روايتـــه اكثر حيـــوية من روايات غيره من المؤرخين المعـــاصرين
مثـــل بسيللوس Psellos الذى اكتفى بتزويدنا باسـطر لا تتعــدى
اصـــابع اليـــد عن معـــركة فاصلة فى تاريخ العصـــــور الوسطى عامة
وتاريخ الامبراطورية البيزنطيـــة خاصـــة(٣) ، اذ كانت هزيمـــة ملاذكرد
بمثـــابة بداية النهـــاية لتلك الامبراطورية الشامخة .

نقفور برينيوس قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى :

ونقفوربرينيوس ، قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى وجد مؤرخنا ،
هو الابن الاكبر للقربلاط(٤) Curopalate برينيوس زوج آن فاتتزينا(٥)
Anne Vatatzina تعلم قائدنا فنون الحرب والقتال على يد والده وتألق
نجمـــه خلال عهـــد رومانوس الرابع (اول يناير ١٠٦٨ ــ ٢٦ اغسطس
١٠٧١م) ، فقد ذكرت آن كومنين Anne Commène زوجة مؤرخنـــا ،
أن العاهل البيزنطى كان يقدر ذكاء قائده نقفور وسلوكه الحميـــد حتى انه
قرر اعتباره شقيقه بالتبنى(٦) وقد شارك قائدنا فى معركة ملاذكرد(٧) ، وكان
آنذاك يحمل لقب ماجستروس(٨) Magistros واسندت اليه مهـــام

دوقا كلا الغرب(٩) duc de tout l'Occident ويوصول الجيش البيزنطى الى ثيدوثيسا ، توسل نقفور الى الامبراطور رومانوس ان يتحصن فيها ، أو على الاقل ان لا يتخطى ثيودوسيوبوليس(١٠) Théodosioupolis وأن يظل فى الاراضى البيزنطية فى منطقة يتلاءم فيها الفرسان والمشاة ، ولكن لم يؤخذ برايه(١١) . وفى أثناء الاقتتال الذى خاض غماره فى ضواحى ملاذكرد ، لم يكن حسن بلاء نقفور اقل من شجاعته ومهارته فى خوض غمار الحرب(١٢) . ففى خلال المعركة الحاسمة وذلك فى السادس والعشرين من اغسطس سنة١٠٧١م(١٣) (١٤ ذى القعدة سنة٤٦٣هـ) ، اسندت اليه قيادة الجناح الايسر للجيش البيزنطى . وقد حاول آنذاك الاتجاه نحو الامبراطور البيزنطى لنجدته عندما علم انه فى موقف لا يحسد عليه ، لكنه كان محاطا بالاعداء السلاجقة احاطة الدائرة بمعصم اليد ، فاضطر انيلو ذ بالفرار من ساحة القتال . ولكن كان لفراره هذا آثاره الطيبة ، اذ لم يسقط اسيرا فى قبضة السلطان السلجوقى الب ارسلان(١٤) (٤٥٥ — ٤٦٥هـ/١٠٦٧ — ١٠٧٢م) . وقد أوردت آن كومنين فى كتابها « الالكسياد » Alexiade ان جد زوجها كان مستشارا فطنا ، محنكا ، ذا تجارب ، ومتمرسا على فنون الاستراتيجية والتكتيكات الحربية(١٥) .

نقفور برينيوس المؤرخ :

هذه كلمة سريعة موجزة عن قائد الجناح الايسر للجيش البيزنطى ودوره فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية حتى معركة ملاذكرد ، دون الدخول فى تفاصيل ما بعد ذلك حتى لا نخرج عن موضوع بحثنا وندخل فى مواضيع فرعية . اما مؤرخنا نقفور برينيوس صاحب « كتب التاريخ الاربعة » ، فهو من مؤرخى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى ، وابن حنا برينيوس حاكم ديراخيوم(١٦) Dyrrachium

ولد حوالى عام ١٠٨٠م (٤٧٣هـ) ، وكانت زوجته المؤرخة آن كومنين ابنة الامبراطور البيزنطى الكسيس كومنين أصغر منه بقليل . اذ انهـا ولدت يوم السبت الثـانى من ديسمبر سنة ١٠٨٣م ، وتزوجا حوالى سنة ١٠٩٦ أو ١٠٩٧م ، بعـد وفاة قسطنطين دوقاس خطيب آن كومنـين فى صيف عام ١٠٩٤م(١٧) .

وترجع أول اشارة الى مؤرخنا نقفور كصهر للامبراطور البيزنطى الى الثانى من ابريل سنة ١٠٩٧م (٤٩٠هـ) ، اذا أوردت آن كومنين أن والدها الامبراطور البيزنطى الكسيس كومنين (١٠٨١ — ١١١٨م/٤٧٤ — ٥١٢هـ) كلف صهره نقفور بتأمين حراسة أسوار القسطنطينية ، ضـد هجوم شنه الصليبيون(١٨) . أما زونوراس ، فقد أورد أن الامبراطور البيزنطى أنعم عليه بلقب « بنهيبارسبستى » Panhypersebaste بمنـاسبة زواجهمن آن كومنين(١٩) . كما أنعم عليه بلقب قيصر César حوالى عام ١١٠٩ أو ١١١٠م ، ويؤكد ذلك انه كان يحمل هذا اللقب عشية وفاة البطـريرك البيزنطى نيقـولا جراماتيكوس Nicolas Grammatikos وذلك فى أوائل عام ١١١١م (٥٠٤هـ) . وفى عامى ١١١٤ و ١١١٥م (٥٠٨ و ٥٠٩هـ)،ذهب القيصر فى صحبة الكسيس كومنين الى فليبوبولى Philippoli ، وبذل قصارى جهده لتحويل بيالصه Manichéens (=Pauliciens) هذه المنطقة عن آرائهم التى تتسم بالهرطقة(٢٠) . وتذكر زوجته آن كومنين أن مؤرخنا تولى قيادة الجناح الايمن للجيش البيزنطى فى آخر حملة قادها والدها ضد الاتراك السلاجقة فى منطقة قونية Iconium وذلك سنة ١١١٦م(٢١) (٥١٠هـ) .

ولقد أوضح زونوراس مدى ما تمتع به برينيوس من مكانة ونفوذ فى عهد الكسيس كومنين ، حتى أنه عندما مرض العـاهل البيزنطى سنة ١١١٨م (٥١٢هـ) ، اعتبرته الحاشية خلفا له . ففى هذا الصدد يقول زونوراس :

« تمتع القيصر برينيوس بمكانة هائلة ومؤثرة ، حتى انه كان يعلن بنفسه وبصوته ما كان يحدث فى القصر الامبراطورى (أى بمثابة المتحدث الرسمى للدولة فى ايامنا هذه) . لذا كان الجميع يمثل امامه . وقد أوكلت اليه مهام امور العدل ، واتسمت مراسيمه بالطابع الامبراطورى ، واشتهر بأنه من المهتمين بالآداب »(٢٢) .

على أية حال ، فقد استماتت زوجته آن كومنين ووالدتها ايرين دوكاينا Irène Doukaina فى اقناع الكسيس على تعيين برينيوس خلفاً له على عرش الامبراطورية البيزنطية بدلا من ابنه الاكبر حنا كومنين . لكن الكسيس لم يرضخ لتوسيلات ودموع زوجته ايرين . فيذكر خونيات Choniate ان الكسيس قال لزوجته « الا تكفى عن تعرضى على ما يعجب ابنتك ويرضى رغباتك ، اذ سينتج عن تلبية ذلك ، القضاء على الامن السائد فى ربوع الامبراطورية . يبدو انك مدفوعة بأفكار شيطانية ، واتمنى ان تتسم اراؤك بالاعتدال اكثر من ذلك . فمن من اباطرة الروم القدامى فضل صهره على ابنه خلفا له على عرش الامبراطورية ؟ ومع ذلك ، اذا افترضنا ان اختيارا مثل هذا قد تم فيما مضى ، فسوف لا تعتبر ذلك الاستثناء قاعدة . اذا لبيت طلبك فساكون اضحوكة الامبراطورية ، بل وسيعتقد الشعب البيزنطى اننى معتوه ويحجر على ، ولا انسى اننى تسلمت زمام الامور وتربعت على عرش الامبراطورية بطريقة منافية ومخالفة للعقيدة المسيحية ، وذلك بعد ارتكابى لاعمال قتل . وبعد كل هذا تريدين ان استبعد ابنى خلفا لى على العرش واعين بدلا منه المقدونى »(٢٣) . وبذلك فشلت محاولات زوجة الكسيس وابنته فى تنصيب مؤرخنا برينيوس على عرش الامبراطورية البيزنطيةويبدو ان مؤرخنا قبل تنحيته عن العرش عن طيب خاطر . الا ان زوجته آن — على حد قول خونيات — عملت على تحريض المتآمرين ، هادفة من ذلك قتل الامبراطور البيزنطى الجديد حنا كومنين شقيقها وابداله بالقيصر نقفور برنيبوس(٢٤) زوجها .

ولقد أكد العديد من مؤرخي القرن الثانى عشر الميلادى ان نقفور كان واسع الثقافة ، فصيح اللسان محبا للآداب ونصـيـرا لأهله . ولا نستطيع تأييد ذلك لأنه لم يصل الينا من مؤلفاته الا « كتب التـاريخ الاربعة » التى كتبها فى عجلة تلبية لاوامر ايرين دوكانا Irène Doukaina زوجة الكسيس كومنين ووالدة زوجته آن كومنين ، وذلك فى أواخر ايام حيـاته اذ انه توفى فى حوالى نهاية عام ١١٣٧م (٥٣٢هـ) أو نهاية عام ١١٣٨م (٥٣٣هـ)دون اكمال مصنفه . ومما لاشك فيه أن مصنفه هذا لم يكن انتاجه الوحيد ، اذ اكدت آن كومنين فى كتابهـا عن تاريخ والدها الكسيس كومنين «Alexiade» ان زوجها برينيوس الف العديد من الكتب القيمة التى اكسبته شهرة ذائعـة الصيت(٢٥) . وتواصل سردها قائلة انه كان محبا للآداب والفلسفة ، نذا حظى ادباء عصره باهتمامه البالغ وكان هؤلاء يفخرون بالتردد على الصالون الادبى للامبراطورة ايرين دوكاينا ، وكثيرا ما طلبوا حماية القيصر فى أوقاتهم العصيبة(٢٦) .

هذه لمحة سريعة عن مؤرخنا القيصر نقفور برينيوس والذى شاء القدر ان يحـول بينه وبين الوصـول الى عرش الامبراطورية البيزنطية خلفـا لاكسيس كومنين ، فحرمت الامبراطورية من أن يعتلى عرشها قائد ينتمى الى اعرق العائلات البيزنطية العسكرية فى ادرنه .

لمحـة سريعة على محتـويات مصنف « كتب التاريخ الاربعة » :

ومن المفيد حقا قبل الانتقال الى رواية برينيوس عن معركة ملاذكرد ان نلقى بنظرة سريعة خاطفة على مصنفه دون الغوص فى تفاصيل محتوياته . فالملاحظ انا لصفحات الاولى من المصنف مفقودة . كذلك يبـدو أنه نقـل الفصول الاولى من مقدمة كتابه حتى الفصل العاشر منها ، نقلها عن مؤرخ مجهول ، الا ان كتابته المنسوبة اليه والتى تتفق مع أسلوبه التاريخى(٢٧) تبـدأ من الفصـل الحـادى عشر . ولقد عالج برينيوس فى مقدمته تاريخ

آل كومنين باختصار منذ عهد اسحق كومنين (أول سبتمبر سنة ١٠٥٧م — ٢٢ نوفمبر سنة ١٠٥٩م) مسلطا الاضواء على الكسيس كومنين ، وموضحا كيفية وصوله الى العرش . واختتم المقدمة بالحديث عن آل كومنين وآل دوقاس(٢٨) . هذا عن محتويات المقدمة ، اما كتابه الاول ، فقد تحدث فيه عن النشأة الاولى لكل من اسحق وحنا كومنين ، واختتمه بنهاية عهد رومانوس الرابع(٢٩) (٢٦ اغسطس ١٠٧١م) . وقد استهل برينيوس كتابه الثانى بالحديث عن اعادة تنظيم حكومة الامبراطورية البيزنطية بعد انكسار رومانوس فى معركة ملاذكرد ، واختتمه بذكر اندلاع الفتن فى انطاكية وغزو الاتراك السلاجقة لبلاد الشام(٣٠) . واذا انتقلنا الى كتابه الثالث ، نلاحظ ان برينيوس بدأه بذكر أحوال الامبراطورية البيزنطية فى عهد ميخائيل السابع (١٠٧١ — ١٠٧٨م/٤٦٣ — ٤٧١) واختتمه بنهاية عهده(٣١) . ثم يأتى فى النهاية كتابه الرابع ، ذكر فيه مؤرخنا احوال الامبراطورية البيزنطية فى أوائل عهد نقفور الثالث بوتانياتس (١٠٧٨ — ١٠٨١م/٤٧١ — ٤٧٤هـ) واختتمه بالحديث عن معركة ضارية دارت بين الاتراك والبيزنطيين . ونستشف من حديثه هذا جحود وتصارع القادة العسكريين البيزنطين فيما بينهم(٣٢) .

تفاصيل معركة ملاذكرد فى « كتب التاريخ الاربعة » :

هذا عن الخطوط العريضة لمحتويات مصنف برينيوس « كتب التاريخ الاربعة » . وقد تجنبنا التطرف للمآخذ التى تؤخذ على مصنفه ، لأنها تزج بنا فى متاهات بعيدة عن موضوع البحث . فالذى يهمنا على وجه الدقة ، التفاصيل التى أوردها مؤرخنا عن معركة ملاذكرد ، وتسليط الاضواء عليها ، مع عقد دراسة تحليلية مقارنة بينها وبين كافة المصادر الاخرى من بيزنطية وسلجوقية واسلامية وأرمنية وسريانية ولاتينية .

ولقد أفرد برينيوس الفصول من الثانى عشر الى السابع عشر من

كتابه الاول للحديث عن معركة ملاذكرد فى صميمها . وقد تجاهلنــا ما حدث من أحداث قبيل هذه الهزيمة وبعدها ، لانها مطروقة فى كافة المصادر والمراجع فالهدف من البحث الاتيان بالجديد وليس تكرار القديم . أشار مؤرخنــا فى مستهل الفصل الحادى عشر(٣٣) من مصدره وعنــوانه وفاة القريلاط(٣٤) مانويل كومنين »(٣٥) الى أن الامبراطور البيزنطى رومانوس(٣٦) ، قد أعد العـدة فى أوائل الربيـــع(٣٧) لخوض غمــــار حرب فاصلة ضــد الاتراك السلاجقة(٣٨) ، واصطحب معــه فى هــذه الحملة خريسوسكولوس(٣٩) Chrysoskoulos وزحف بجيشه الجــــرار(٤٠) الى ان وصـــل الى نيقية(٤١) ثم الى دوريليوم(٤٢) Dorylée ، حيث أخذ يدرب جيوشه استعدادا لتلك الحرب الحاسمة(٤٣) .

وبعد أن أظهر برينيوس نوايا العاهل البيزنطى واستعداداته الضخمة لخــوض معــركة فاصلة ضد السلاجقة ، استهل فصله الثالث عشر(٤٤) وعنوانه « ديوجين قرر الزحف لقتال الاتراك » ، بذكر أنباء وصول رومانوس الى ثيدوثيا(٤٥) ، حيث عقد مجلســا حربيــا استشاريا ضم كبار قادته وأشهرهم . وناقش الجميع خطة القتال ، واستشارهم الامبراطور البيزنطى حول مواصلة الزحف على بلاد فارس لقتال السلاجقة(٤٦) فى عقر دارهم ، أم البقاء فى أراضى الامبراطورية البيزنطية انتظارا لوصول الاعداء . علمــا بأن أخبار مغــادرة السلطان السلجوقى(٤٧) بلاد فارس ، وزحفه ببطء فى اتجاه أراضى الامبراطورية البيزنطية ، قد تسربت الى معســكر العــاهل البيزنطى . فاختلفت الاراء فى هذا المجلس العسكرى . وكان رأى فريق المنافقين المتملقين ـــ على حد قول مؤرخنا ـــ هو عدم الانتظــار أطلاقا ، والاسراع بالزحف لقتــــال السلطان الب ارســـلان فور تسلله الى اقليم وسطان(٤٨) (فاتانا) Vatana فى ميديا(٤٩) (الفاسبوراكان) Médie وعارض هذا الرأى الفــريق الثانى وعلى رأسه كل من الماجستروس(٥٠) جوزيف ترخانيوتس(٥١) Joseph Tarchaniotès قائد الجــزء الاكبر

من الجيوش البيزنطية ، ونقفوربرينيوس(٥٢) ـــ جد مؤرخنـــا ـــ ودوق كل الغرب ، واعتبر القائدان أن راى الفـــريق الاول خاطىء تماما ، وتوســـلا الى الامبراطور البيزنطى أن ينتظر فى أراضى بيزنطة اذا امكن ذلك ، لجذب العدو داخل البلاد واوضحا أن هذه الخطة تتطلب تحصن المدن المجـــاورة لمعسكر الجيش البيزنطى ، واحراق القرى ايضا ، حتى يحرم العدو من التزود بالمؤن(٥٣) . وفى اسوأ الظروف والاحتمـــالات ، على الجيش البيزنطى أن يواصل زحفه الى أن يصل الى ثيودوسيوبوليس(٥٤) Theodosioupolis ليقيم ويعسكر فيها ، انتظارا لوصول الاعداء ، ذلك لأن السلطان السلجوقى بعد انعدام مؤنة ، سيجبر على مهاجمة البيزنطيين على اراضى مناسبة لقتال الجيوش البيزنطية(٥٥) . ولكن لا حياة لمن تنادى ، فكأنهما يصرخان فى اذنى أصم(٥٦) . وانفض المجلس العسكرى بفوز فريق المنافقين ، فى حين كان ينبغى على العـــاهل البيزنطى أن يأخذ براى قادته الابطـــال ومستشاريه الحكماء ، الذين لهم وزنهم وثقلهم الشخصى(٥٧) . الا أنه كان ثملا نتيجـــة انتصاراته السابقة التى ملأته بالتكبر والغطرسة(٥٨) ، اذ تمكن من الاستيلاء على قلعة منبـــج(٥٩) Mempet ، واخذ فى مطاردة كتائب من الاتراك الذين لا هم لهم الا السلب والنهب ، فنجح فى قتل عدد كبير منهم ، بل اسر ايضـــا اعدادا اكبر(٦٠) . وكانت هذه الانتصارات دافعا قويا على تكبر وغطرسة الامبراطور البيزنطى، اضف الى ذلك ثقته التى لا حدود لها ، لتراسه جيوشا لا حصر لها(٦١) ، فاقت فى عددها جيوش أسلافه(٦٢) . فلاول مرة فى التاريخ البيزنطى يحشد جيش بمثل هذا العدد . وهكذا على راس جيشه الجـــرار ، زحف العـــاهل البيزنطى مبـــاشرة الى بلاد فارس لقتـــال السلاجقة فى عقر دارهم(٦٣) .

هذا عن ما تم فى المجلس العسكرى الذى عقده رومانوس ، واختـــلاف آراء القادة ، واخذه بالراى الخاطىء ، حسب راى برينيوس ، الذى انحـــاز

الى جانب رأى جده ورفيقه فى السلال جوزيف ترخانيوتس . واذا انتقلنا الى الفصل الرابع عشر(٦٤) وعنوانه « هجوم غير متوقع ، واسربازيلاكس(٦٥) Basilakès » فقد استهله ، برينيوس بذكر وصول الباسليوس الى ملاذكرد(٦٦) ، ووصول بازيلاكس للانخراط فى صفوفه مصحوبا بجيوش جرارة حشدها من بلاد الشام وارمينية(٦٧) . وكان بازيلاكس رجلا شجاعا ، قوى الشكيمة ، مفتول العضلات ، لكنه كان متهور الطباع ، يتميز بالاندفاع ، ولم يكن باستطاعته السيطرة على اندفاعاته . وبما أن من صفاته تملق الامبراطور ، لذا كان لا يرد على اسئلته الا برد يتسم بالحماقة وضيق الافق(٦٨) . وحدث أن كتب ليون دياباتينوس(٦٩) Léon Diabatènos رسالة الى الامبراطور البيزنطى يعلن فيها أن السلطان الب ارسلان علم بأخبار الحملة البيزنطية ، فانتابه الرعب بسبب هذا الحشد الهائل من الجند ، لذا ترك بلاد فارس ولاذ بالفرار الى بغداد(٧٠) Babylone فصدق رومانوس ما ورد فى هذا التقرير ، وقام بتقسيم جيشه الى قسمين(٧١) ، احتفظ بالقسم الاول الى جواره ، أما القسم الثانى من الجيش ، فقد ارسله الى خلاط(٧٢) Klèat ، واسند قيادته الى الماجستروس جوزيف ترخانيوتس(٧٣) . وكان جوزيف قائداً قديرا على تنفيذ الخطط الحربية ، خبيرا بفنون الحرب واصول علم الاستراتيجية . ولكنه فى ظل هذه الاحوال لم يكن مقتنعا ولا متحمسا للعمليات المأمور بتنفيذها ، اذ كان يائسا تماما . فلقد أوصى الامبراطور البيزنطى بأن يحتفظ بكل قواته فى معسكره ، وأن لا يقسم جيشه ، لأن الاتراك السلاجقة كانوا يعسكرون على مقربة من المعسكر البيزنطى(٧٤) . الا انه فشل فى اقناع رومانوس برأيه ونصائحه ، فاضطر الى ان يتوجه الى خلاط على رأس قواته وكانت هذه المدينة آنذاك خاضعة لنفوذ السلاجقة ، تحميها حامية تركية قوية . الا أن الاتراك ، منذ اليوم الثالث ، انقضوا على الجنود البيزنطيين الخارجين بصحبة خيولهم لترعى ، فقتلوا البعض منهم واسروا البعض الآخر(٧٥) . وبمجرد علم

رومانوس بهذا الحادث ، استدعى على الفور بازيلاكس ليستفسر منه عن مرتكبي هذه المذبحة وجنسياتهم ومركز عملياتهم الحربية . فرد بازيلاكس بتهور انهم اتوا من خلاط للقيام باعمال السلب والنهب وبذلك اخفى برده الاحمق على امبراطور الروم عملية زحف السلطان السلجوقي(٧٦) الذي لم يكن بعيدا عن معسكر الجيوش البيزنطية والادهى من هذا ان العاهل السلجوقي كان يعد خطة الهجوم ، واضعا في الاعتبار ترتيباته الماهرة لخوض غمار معركة فاصلة ، بينما الامبراطور البيزنطي يجهل تماما كل الذى يدور على مقربة منه(٧٧) .

٢ - كانت خطة الب ارسلان تقوم على جذب الامبراطور داخل البلاد ، واثارته ليخاطر بنفسه ويتقدم الى الامام ، وبالتالي يقبض عليه كفريسة سقطت في حبال شباك السلاجقة ، تحقيقا لهذه الخطة ، كان الماكر السلجوقي يرسل بفرسانه الى المعسكر البيزنطي ، وبمجرد وصولهم ، اليه يعودون على اعقابهم كأنهم يلوذون بالفرار . وبفضل تكرار هذه التكتيكات الحربية ، تمكن السلاجقة من القبض على بعض القادة البيزنطيين(٧٨) بعد ان نجحوا في جذبهم لمطاردتهم وكان اول هؤلاء بازيلاكس ، الذي أراد أن يثبت للامبراطور البيزنطي ان مرتكبي حادث خلاط لا ينتمون الى جيش الاتراك السلاجقة ، ولكنهم من سكان خلاط المحبين للسلب والنهب . لذا ، طلب السماح له بالخروج من المعسكر . فسمح له رومانوس بذلك ، فأمسك بسيفه الطويل ، وغمز جواده ، وانقض على الاعداء انقضاضا طائشا متهورا دون ترتيب صفوفه قبل النزال . وتبعه في هجومه هذا جنوده ، فقاتلوا السلاجقة قتالا فوضويا بعيدا عن وحدة الصف والنظام في الحرب ، اذ تصرف كل جندي كما يحلو له(٧٩) . ولاحظ الاتراك هذه الفوضى ، فتظاهروا بالفرار والتقهقر ، فطاردهم جنود بازيلاكس الى ان ابتعدوا كثيرا عن المعسكر البيزنطي الا ان السلاجقة سرعان ما استداروا فجاة لينقضوا على الجيش البيزنطي المتفرق هنا وهناك ، وبذلك نجحوا في القضاء عليه قضاء مبرما .

وراح ضحية هذه المعركة اعداد لا حصر لها ، حتى انه لم يبق اى رسول لينقل خبر تلك الكارثة الى المعسكر البيزنطى ، حتى بازيلكس اسر هو ايضا فى تلك المعركة(٨٠) .

هذا عن تفسير برينيوس للاسباب التى دفعت رومانوس الى تقسيم جيشه الى قسمين ، واظهاره فشل جوزيف ترخانيوتس — رفيق جده فى السلاح والمعارضة — فى اقناعه بالعدول عن هذه الخطة الخاطئة لقرب السلاجقة من المعسكر البيزنطى . ونستشف من حديث مؤرخنا تعاطفه مع ترخانيوتس وتحامله على بازيلاكس ، اذ اظهر الاول فى صورة العالم الخبير بالاستراتيجية والتكتيكات الحربية ، فى حين كان الثانى من وجهة نظره احمق ومتهورا ، وكان من نتائج ذلك وقوعه اسيرا فى قبضة السلاجقة . هذا عن اهم احداث الفصل الرابع عشر . واذا انتقلنا الى الفصل الخامس عشر(٨١) وعنوانه « ايفاد برينيوس لنجدة بازيلاكس » ، فقد بداه مؤرخنا بالقول انه عندما اخبر الامبراطور ان بلازكس خرج من المعسكر فى فوضى ودون ترتيب صفوفه ، وانه انطلق كالسهم لقتال الاعداء ، استدعى على الفور نقفور برينيوس ، دوق كل الغرب ، والذى كان آنذاك قائدا للجناح الايسر للجيوش البيزنطية ، واصدر اليه اوامره بالرحيل فورا بصحبة قواته لانقاذ بازيلاكس من الاخطار المحدقة به ، وان يستميت فى الدفاع عنه اذا كان متقهقرا(٨٢) . بالفعل ، لقد بدات الشكوك تساور العاهل البيزنطى ، وينتابه القلق ، اذ شعر بخطورة موقف قائده(٨٣) على حد قول مؤرخنا .

على اية حال ، فقد اسرع برينيوس بتنفيذ أوامر الامبراطور ، فرحل وبصحبته جيوشه . وفى خلال زحفه السريع ، لم ير فى اول الامر لا صديق ولا عدو . لكن بعد ان واصل زحفه بعيدا ، لاحظ كلما تقدم اكثر فأكثر ، كتائب الاعداء متمركزة على التلال . واستمر فى سيره قليلا الى أن عثر على جثث للجنود البيزنطيين(٨٤) ، فتساءل عن مصير بازيلاكس . وانتهى به المطاف

اخيرا أن قابل احد الجنود الجرحى الذى لايزال يلفظ انفاسه الاخيرة ، فاستفسر منه عن ما حدث لبزيلاكس وجيشه . فسرد له الجندى الجريح المغامرة بكلمها . اما الاتراك السلاجقة ، فقد خرجوا من كل فج ، محاولين الاحاطة بكتائب برينيوس احاطة الدائرة بمعصم اليد . لكن القائد البيزنطى لاحظ حيلتهم الماكرة ، فنصح جنوده أن يتسموا بالشجاعة ، وان لا يقدموا على تصرف يتسم بالجبن وهذا لا يليق بمكانتهم ومقامهم كبيزنطيين . ثم اصدر أوامره الى جنوده بعمل نصف دائرة ، واعادهم فى نظام وهدوء الى المعسكر البيزنطى دون اكتراث لأى اخطار محدقة به وبوصوله على مقربة من المعسكر البيزنطى ، تراس جزءا من جيشه ، واصدر اوامره الى الآخرين بالتزام أماكنهم ، ثم باغت الاعداء واجبرهم بسهولة على الفرار . الا ان السلاجقة سرعان ما اعادوا تجميع صفوفهم وعاودوا قتاله بجموعهم الغفيرة الا ان برينيوس أعاد توحيد قسمى جيشه ، وانسحب للانضمام الى الجيش البيزنطى الاساس حينئذ ، انقض عليه السلاجقة انقضاض الاسد على فريسته ، فاصابوه بضربة رمح فى صدره ، وسهمين فى ظهره . وبعد قتال بطولى — على حد قول حفيده المتعاطف معه — تمكن من الانسحاب الى المعسكر البيزنطى وبصحبته البقية الباقية من جيشه . ثم مثل القائد نقفور امام رومانوس ، وزوده بتقرير كامل عن كل هذه الاحداث . فتوسل اليه الامبراطور بالتزام خيمته لتضميد جراحه(٨٥) ، فنفذ اوامر عاهله وظل تحت خيمته(٨٦) .

هكذا تفوح من هذا الفصل مبالغة مؤرخنا فى تجميد بطولة جده فى حربه ضد الاتراك السلاجقة . اما الفصل السادس عشر(٨٧) وعنوانه « انتظام صفوف الجيش البيزنطى لخوض غمار القتال »،فقد اورد فيه برينيوس أنه بمجرد بزوغ فجر اليوم التالى وظهور الشمس فى الافق(٨٨) ، تم استدعاء جده للمرة الثانية للمثول امام الامبراطور . فتوجه اليه محتقرا جروحه . واتعقد

مجلس حربي للتشاور فيما اذا كان من الافضل خوض غمار الحرب ، أو ابقاء الجيوش داخل المعسكر . فاقترح البعض بحكمة وتعقـل ، البقـاء داخل المعسكر ، واستدعاء القوات البيزنطية التى سبق ارسالها الى خلاط . وكان رومانوس ـــ كما سبق أن ذكرنا ـــ قد ارسل بنصف جيشه الى خلاط(٨٩) ، وكان قد اسند قيـادة هذا الجيش الى جوزيف ترخانيوتس . الا أن فريق المنافقين اقترح عكس ذلك ، اذ طلب ونادى بالهجوم . « ولا أعلم اذا كانوا جادين فى مطلبهم هذا أم لا » ، على حد قول مؤرخنا نقلا عن جده . وهكذا ، للمرة الثانية ، كان للاستشـارة الخاطئة عواقبها الوخيمـة على مجـريات الاحداث ، وعلى مصير المعركة والجيش البيزنطى(٩٠) ، اذ أصدرت الاوامر بخروج الجيوش من المعسكر لملاقاة العدو . الا أن الاتراك عادوا ثانية الى ساحة الوغى أكثر قوة وعددا(٩١) . واندلع القتال ، فراح ضحيته اعداد لا حصر لها من السلاجقة ومن البيزنطيين ايضا ، وجرح برينيوس نفسه فى أماكن عديدة من جسمه ، ولكن بفضل حنكته وموهبته الاستراتيجية تمكن من اعادة الجزء الاكبر من كتائبه سالمة الى المعسكر البيزنطى ، وهى محتفظـة بكامل حيويتها(٩٢) حينئذ ، عندما وجد الامبراطور البيزنطى شدة هجمات الاتراك السلاجقة ، خرج هو ايضا بقواته لخوض غمار القتال ، ونظم جيشه فى كتائب أمام المعسكر ، فرتبه على الشكل الآتى : أسند قيادة الجنـاح الايمن الى الياتس **Alyatès** (٩٣) وهو من قبدوقيا ، وينتمى بصلة قرابة للامبراطور البيزنطى . أما الجناح الايسر ، فكان تحت امرة برينيوس ، فى حين تولى رمانوس قيادة قلب الجيش ، وأخيرا اسندت المؤخرة الى ابن القيصر ، أى الى اندرونيك دوقاس(٩٤) **Andronic Doukas** وكان اندرونيـك ليس فقط منحدرا من سلالة شهيرة ، لكنه ايضا كان حسن الخلق ويتسم بالفضيلة والخصال الطيبة . اضافة الى ذلك ، فقـد اشتهر بالبسـالة والخبرة فى العلوم العسكرية والاستراتيجية ، فكان واسع العلم بفنون الحرب . لكنه

لم يكن مخلصـــا للامبراطور ولا تربطـــه به علاقات ودية ، اذ كان يكن له العداء(٩٥) .

هكذا ، اوضح برينيوس فى هذا الفصل اختــلاف الراى فى المجلس العسكرى الثانى ، وأخذ رومانوس بالراى الخاطىء لثانى مرة . كذلك نجح بمهارة منقطعة النظير فى ان يرسم لنا صورة واضحة المعالم عن تقسيمات الجيش البيزنطى قبيل اندلاع معركة ملاذكرد ، مشيرا اشــارة عابرة الى انعدام الوفاق بين الامبراطور البيزنطى وبين قائد المؤخرة ، مما سيكون له عواقبه الوخيمة على مجريات الاحداث التالية لتى اوضح تفاصيلها فى الفصل الســـــابع عشر(٦٩) من مصنفه وعنـــــوانه « كارثة الجيش البيزنطى » استهل برينيوس هذا الفصل بالقول أن الاتراك السلاجقة عندما راوا ان الامبراطور البيزنطى قام بترتيب جيشه لخوض غمار المعركة ، اقلعوا عن تقسيم جيشهم لا على نظام الكتائب ولا على نظام الالوية والفرق ، والتمسوا السكينة والهدوء(٩٧) ذلك لانه لم تكن لديهم اية نية لقبول خوض معــركة رتيبة ومنظمة مع الجيش البيزنطى . لكن السلطان السلجوقى ، الذى كان فى مؤخرة جيشه ، كان يعد العدة فى نفس الوقت لخطة الهجوم المقبل(٩٨) ؛ اذ اوكل قيادة جيشه الى الخصى طرنجسى **Tarengès** (٩٩) الذى كان يحظى بثقته الكاملة . فقسم الزعيم السلجوقى جيشه الى وحدات صغيرة عديدة ، ورتب فى المقدمة وحدات لجمع المعلومات عن جيش العدو والتجسس عليه . كذلك احاط المعسكر البيزنطى(١٠٠) بوحدات صغيرة على هيئة كمائن . ثم أصدر أوامره بامطار خيالة الروم بوابل من السهام(١٠١) ، وتقدم الجيش البيزنطى لمساندة خيالته المهزومة ، فتظاهر السلاجقة بالتقهقر والانسحاب ، فطاردهم الجيش البيزنطى ، وبذلك وقع فريسة كمـــائن السلاجقة الذين قاموا بدورهم بتعقب مؤخرته ، فتكبـــد الجيش البيزنطى خسائر فادحة(١٠٢) .

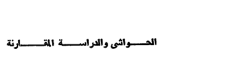
أمام هذه الهزائم المتلاحقة ، قرر الامبراطور البيزنطي الدخول في معركة فاصلة(١٠٣) . فتقدم بصحبة المشاة آملا في الانقضاض على اعدائه دفعة واحدة . لكنهم تفرقوا وعادوا فجأة لينقضوا بوحشية بالغة على الجناح الايمن للجيش البيزنطي ونجحوا في الحاق الهزيمة بمؤخرته(١٠٤) . وهكذا ، احاطوا بالامبراطور البيزنطي احاطة الدائرة بمعصم اليد ، وعزلوا جناحه الايسر الذي حاول قائده برينيوس جاهدا ان يزود العاهل البيزنطي بنجدات لانقاذه ، الا ان السلاجقة وقفوا له بالمرصاد ، وحالوا دون تحقيق احلامه في انقاذ سيده ، بل نجحوا في اجباره على الفـرار من ساحة الوغى . وبذلك اصبح قلب الجيش البيزنطي بقيادة رومانوس معزولا تماما ومحروما من كل عون أو مدد(١٠٥) أمام هذه الاخطار المحدقة به ، استل الامبراطور البيزنطي سيفه ، واخذ يقتل السلاجقة تقتيلا كما يقول مؤرخنا(١٠٦) . لكن انتهى به المطاف ان احاطت به جموع غفيرة من الاتراك السلاجقة ، واصيب بجرح بالغ في يده . وعندما تعرف عليه الاعداء(١٠٧) ، احاطوا به من كل جهة ، فجرح جواده بضربة سهم ، فانزلق وانطرح أرضا الفرس والفارس(١٠٨) .

هكذا اصبح الامبراطور البيزنطي اسير معركة ملاذكرد(١٠٩) ، واقتيد مكبلا بالاغلال للمثول امام السلطان السلجوقي(١١٠) . « لكن العناية الالهية صانعت هذه الخاتمة المؤلمة(١١١) لاسباب اجهلها » على حد قول برينيوس . وسقط في الاسر العديد من قادة الجيش البيزنطي ، اما الباقي ، فراح ضحية سيوف الاتراك السلاجقة(١١٢) ، الا ان القليل منهم لاذ بالفرار من ســاحة القتال(١١٣) . وبذلك استولى الاتراك السلاجقة على المعسكر البيزنطي بأكمله ، بما فيه خيمة الامبراطور والخزانة واجمل جواهر رومانوس الثمينة ، من بينها لؤلؤة شهيرة تسمى اليتيمة . اما الجنود الذين لاذوا بالفرار افلاتا من المذبحة المروعة ، فقد تفـرق كل منهم في الاتجاه الذي يحلو له . وكان هدفهم الاوحد ، هو الاسراع بالعودة الى بلادهم سالمين ، سالكين طريقـا آمنا غير محفوف بالاخطار(١١٤) .

هكذا اسدل المؤرخ نقفور برينيوس فى فصله السابع عشر الستار على معركة ملاذكرد(١١٥) ، بعد أن نجح الى حد كبير فى تزويدنا بتفاصيل حيوية ودقيقة عن تقسيمات الجيــوش البيزنطيــة ، واظهاره بسالة الامبراطور البيزنطى فى خوض غمار القتال . ولم يفته اظهار براعة التكتيكات الحربية للاتراك السلاجقة ، وخاصة تركيزه على تظاهرهم بالفرار لجذب خصمهم على مطاردتهم ، ثم استدارتهم وانقضاضهم فجاة وعلى غير توقع على فلول المطاردين .

وبذلك نجح السلاجقة فى سحق الامبراطور البيزنطى وجيشه الجرار فى ملاذكرد وتحولت الامبراطورية البيزنطيــة الى ما يشبه الرجل المريض المحتضر ، الذى اخذ يضمد جراحه ما يناهز الاربعة قرون التالية ، الى ان توفى سنة ١٤٥٣م متاثرا بآلامه المبرحة التى طال امدها . فاسدل العثمانيون الســـتار نهائيا والى الابد على الامبراطورية البيزنطيــة الشامخة . تلك الامبراطورية التى كانت احد اعمدة تاريخ العصور الوسطى والمحرك الاول لمجريات الامور وموازين القوى فى العــالم آنذاك .

هذا وقد راعينا ــ كما سبق القول ــ اثبات مختلف وجهات النظــر كما عبرت عنها المصادر الاخرى من عربية وغير عربية ، المعــاصرة لنقفور برينيوس والمتاخرة عنه نسبيا ، فى حواشى البحث ، والهدف من ذلك عدم الاخلال بالنص الاصلى .



الحـــواشى والدراســـة المقـــارنة



(١) لمزيد من التفاصيل المطولة عن المؤرخ نقفور برينيوس أنظـــر :

Seger, Byzantinische

Historiker des Zehnten und elften Jahrhunderts. I. Nikephoros Bryennios, Eine phililigisch-historische Untersuchung, Munich, 1888; Brehier, Dictionnaire d'histoire et de Géographie ecclesiastiques, X, 1938, pp. 996-998 : Wittek-De Jongh, Le Cesar Nicéphore Bryennios. L'Historien et ses ascendants, Byzantion, 25, 1953, pp. 463-468; Carile, Il problema della identificazione del Cesare Niceforo Briennio, Aevum, 38/I-II, 1964, pp. 74-83; Idem, Il «Cesare» Niceforo Briennio, Aevum, 42/V-VI, 1968, pp. 429-254 : Idem, Aevum, 43, 1969, pp. 56-87.

(٢) كان العالم اليسوعى الاب بييربوسين Pierre Poussines
) عنه أنظر

Biographie universelle ancienne et modernes, 35, Paris, 1823, pp. 586-588, notice signée W — S = Weiss; F. Cavallera, art. Poussines Pierre, D T C, XII, 2, Paris, (1935, Col, 2668-2670).

اول من قام بتحقيق مصنف نقفور برينيوس وذلك فى سنة ١٦٦١
نشره فى Corpus Byzantinae Historiae عقب نشـــره
للالكسياد مصحوبا بترجمة لاتينية وذلك فى سنة ١٦٤٩م (انظر :

Anne Comnenae Alexiadis libri XV, Lutetiae, 1649.

ثم أعد دى كانج Ducange تحقيقه الثانى الذى ظهـــر فى البندقيـــة سنة ١٧٢٩م . وبعـــد ذلك اعد اوجست مينيك Auguste Meineke تحقيقه الثالث الذى ظهرفىبون سنة١٨٣٦ (انظر :

Testimonis Veterum, ed. A. Meineke, dans C S H B., Bonn 1836).

واخيرا ، ظهر تحقيق رابع اعده منيو Migne (انظـــر :
Patrologia Graeca, t. 127, Paris, 1864, col. 24-216.

وظهرت ترجمة « لكتب التاريخ الاربعة » باللغة الروسية سنة ١٨٥٦ (نظر :

Vizantijskie istoriki, 1856, dans la Collection de l'académie ecclesiastique de Saint — Pétersbourg.

وثلاث ترجمات باللغة الفرنسية . الاولى اعدها كوزان (انظر
M. Cousin, Histoire de Constantinople depuis le règne de l'ancien Justin jusqu'à la fin de l'empire, traduite sur les originaux grecs, III, Paris, 1685, pp. 526-598.

وتتسم بعدم الدقة اما الترجمة الفرنسية الثانية ، فقد اعدها هنرى جريجوار وكانت افضل بكثير من الاولى (انظر :

Nicephore Bryennios, Les Quatre Livres des Histoires, tr. Henri Grégoire, dans Byzantion, 23, 1953, pp. 469-530, livres I-II, et Byzantion, 27, 1957, pp. 881-926, livres III-IV.

واخيرا تأتى الترجمة التى اعدها بول جوتييه Paul Gautier وهى افضل واكمل الترجمات (انظر :
Nicephori Bryennii Historiarum libri quattuor, tr. Paul Gautier, Bruxelles, 1975.

وقد استفدنا من الترجمتين الاخيرتين استفادة تكاد تكون كاملة لاخراج بحثنا هذا الى حيز الوجود .

(٣) تحدث بسيللوس عن الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع أكثر من حديثه عن ملاذكرد . انظر :

Psellos, Chronographie, texte etabli et traduit par Emile Renauld, paris, 1926-1928, t. II. 161-162.

(٤) عن لقب « قربلاط » **Curopalate** انظر حاشية رقم ٣٤ .

(٥) اكد برينيوس ذلك فى الفصل السابع من كتابه الثالث (انظر : **Bryennios, tr. Gautier, III, ch. 7, p. 224.**

كذلك ذكر اطالياطس أن امرأة من اسرة فاتتزس **Vatatzès** نجحت فى بذر بذور الفوضى والاضطراب فى اقليم رايدستوس **Rhaidestos** وذلك سنة ١٠٧٧م (٤٧٠هـ) ، واضـــاف قائلا ان زوجها ينتمى الى عائلة الثائر برينيوس (انظر :

Michaelis Attaliotae. Ed. I. Bekker, C S H B, Bonn, 1853, pp. 244-245.

واستنادا الى اقوال كل من المؤرخ سكيلتزز والمؤرخ زونوراس ، فان آن **Anne** هذه ، كانت شقيقة القـائد حنـا فاتتزس **Jean-Vatatzès** ، ذلك القـائد الذى ظل مخلصـا لليون تورنيكس **Leon Tornikès** (انظر :

Skylitzes-Cedrenus, Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope suppletus et emendatus. Ed. I. Bekker, II, C S H B, Bonn, 1839, p. 564; Zonoras, loannis Zonorae Epitomae Historiarum, libri XIII-XVIII. Ed. Th. Büttner-Wobst,

III, C.S.H.B., Bonn, 1897, pp. 630-631.

وقد انجبت آن فاتتزينا ولدين همـا نقفـور وحنا . وقد ذكر

مؤرخنا أن حنا Jean كان شقيقا للقائد برينيوس (انظر :
Bryennios, III, ch. IV, p. 216.

وعن القائد برينيوس (انظر : Anne
Commene, Alexiade, texte établi et traduit par Bernard Leib, Paris, 1937-1943-1945, I, pp. 17-28.

وعن حنا Jean انظر : Alexiade, I, p. 20.

(٦) Alexiade, II, p. 196.

(٧) Bryennios, tr. gautier, I, ch. XV, p. 110; tr. H. Grégoire, p. 488.

(٨) عن لقب « ماجستروس » Magistros انظر حاشية رقم ٥٠

(٩) Bryennios, tr. Gautier, I, XIII, p. 106

ومهام دوق كل الغرب lacharge de
Duc de tout l'Occident تساوى وظيفة دمستق شولز الغرب
Domestique des Scholes d'Occident للتفاصيل انظر :
R. Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines, Berlin, 1967, I, p. 430; Bréhier, Les Institutions de L'empire Byzantin, Paris 1949, p. 368

(١٠) عن « ثيودوسيوبوليس » Théodosioupolis انظرحاشيةرقم٥٤ .

(١١) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII, P. 107; tr. H. Grégoire, p. 488.

(١٢) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XV, p. 112; tr. H. Grégoire, p. 490.

(١٣) عن التحديد التاريخى لمعركة ملاذكرد انظر حاشيته رقم ١١١ .

(١٤) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVI, p. 114; tr. H. Grégoire, p. 491.

(١٥) Alexiade, II, p. 90.

(١٦) Bryennios, tr. Gautier, p. 23.

(١٧) Bryennios, tr. Gautier, p. 24; Zonoras, p. 738.

(١٨) Alexiade, II, p, 223.

(١٩) Zonoras, p. 739.

(٢٠) Bryennios, tr. Gautier, p. 25; Alexiade, III, P. 182; Zonoras, pp. 753-754.

(٢١) Alexiade, III, p. 202 et p. 205.

(٢٢) Zonoras, pp. 754-755.

(٢٣) Nicetae Choniatae Historia. Ed. I. Bekker, C.S.H.B., Bonn, 1835, p. 9.

(٢٤) Choniate, pp. 14-17.

(٢٥) Alexiade I, p. 5.

(٢٦) Bryennios, tr. Gautier, p. 29; Georges et Demetrios Tornikès, Lettres et discours. Ed. J. Darrouzès, Paris, 1970, pp. 250-256.

(٢٧) لمزيد من التفاصيل عن اسلوب برينيوس فى الكتابة التاريخية انظر :

Seger, Byzantinische Historiker des Zehnten und elften

Jahrhunderts. I. Nicephoros Bryennios. Eine philologisch-historische Unterschung, Munich, 1888, pp. 59-82.

(٢٨) Bryennios, Préface, pp. 54-73.

(٢٩) Bryennios, livre I, ch. I-XXV, pp. 74-141.

(٣٠) Bryennios, livre II, ch. I-XXIX, pp. 142-207.

(٣١) Bryennios, livre III, ch. I-XXVI, pp. 208-255.

(٣٢) Bryennios, livre IV, ch. 1-XL, pp. 256-311.

(٣٣) Bryennios, tr. Gautier, livre I, ch. XII, pp. 102-104; tr. Henri Grégoire, dans Byzantion, t. XXIII (1953), pp. 486-487.

(٣٤) شملت قائمة التشريفات البيزنطية ثمانية عشر لقبا تشريفيا . وكان اللقب الثـامن عشر الا وهو « قيصر » Cesar أعلى تلك المراتب . أما لقب « قـــربلاط Curopalate فكان فى المرتبة السادسة عشر . ومنذ عام ٥٥٨م ، بمنح هذا اللقب الى الحـكام الكـرج ، ومنذ عام ٦٣٥/١٤هـ ، اغدق به الامبراطور البيزنطى على الحكام الارمن ايضا انظر :

Aristakès de Lastivert, Récit des Malheurs de la Nation Arménienne, tr. M. Canard, Bruxelles, 1973, p. 2, n. 3.

Cf. Charles Diehl, Justinien et la Civilisation Byzantine au XIe siecle, paris, 1901, p. 98.

(٣٥) كان « مانويل كومنين » Manuel Comnène من اقـــرب المقربين الى الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع . وقد عينه عقب تربعه على عرش الامبراطورية فى وظيفة « بروتستراتور »

protostrator للتفاصيل عن هذه الوظيفة العسكرية أنظر
Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines, Berlin, 1967, t. I, pp. 478-497.

وفى ربيع ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) تم تعيينه «ستراتيجوس اوتوقراطور»
Stratège autocrator

لجيوش الشرق (نظر :
Bryennios, tr. Gautier, ch. VII, p. 88. Michaelis Attaliotae Historia. Ed. I. Bekker, C.S.H.B, Bonn, 1853, p. 138; Ionnes skylitzes Continuatus, E. Th. Tsolakes, Thessalonique, 1968, p. 139; Ioannes Zonorae Epitomae Historiarum (Libri XIII-XVIII). Ed. Th. Büttner-Wobst, III, C.S.H.B., Bonn, 1897, p. 694.

وقد تمكن القـــــائد البيزنطى مانويل فى خـــريف سنة ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) من دحر الجيش السلجوقى بقيادة اريسغى زوج اخت الب ارسلان (تسمية المصـــادر البيزنطية باسم خريسوسكولوس **Chrysoskoulos** وعنه انظر حاشية رقم ٣٩) . عقب معركة ضارية دارت بين المتخاصمين فى مدينة سيواس ، تمكن فيهـــا القائد البيزنطى من اجبار الجيش السلجوقى على الفـــرار من ميدان القتال (انظر
Bryennios, ch. XI, p. 100; Attaliate, p. 139; Skylitzès Continué, p. 139; Zonoras, p. 694.

والجدير بالملاحظة ان المؤرخ البيزنطى « زونوراس » **Zonoras** اتهم الامبراطور رومانوس بتعمد تقليص قوات قائده مانويل ، بدافع الغيرة لما حققه هذا القائد الشاب من انتصارات متلاحقة (انظر **Zonoras, p. 694**) . الا ان هذا الاتهـــام لا يتقبله

منطق العقل ويتنافى مع رواية برينيوس الذى أظهر مدى ما يكنه العاهل البيزنطى من حب وتقدير لقائده مانويل . ونستشف من هذا الاتهام الملفق ، حقد زونوراس على الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع ، على اية حال ، عقب النصر الذى احرزه مانويل على الجيش السلجوقى ، قام بتعقب فلوله الهاربة الى ان وصل بالقرب من معسكر العدو ، وهناك ، دارت معركة ضارية انتهت بفرار الجيش البيزنطى من ساحة القتال ، فاضطر قائدنا أن يلحق بركاب الفارين . الا ان السلاجقة احاطوا به احاطة الدائرة بمعصم اليد ، وتمكنوا من اسره واقتيـاده الى القائد السلجوقى اريسغى (للتفاصيل انظر :

Bryennios, ch. XI, p. 100; Attaliate, p. 140, Skylitzès Continué, p. 140; Zonoras, pp. 694-695.

وتضيف المصادر البيزنطية ان اعدادا لا حصر لهـا من الجيش البيزنطى راحت ضحية هذه المعركة ، وان عظام الموتى حركت عواطف ومشاعر العاهل البيزنطى للثأر من تلك الهزيمة فى العام التالى أى فى عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (انظر :

Attaliate, pp. 147-148; Skylitzès Continué, p. 144.

ومما يذكر ان اريسغى كان قد أعلن عصيانه على الب ارسلان ، لذا نجح مانويل فى اقناعه بسهولة للانضمام الى صفوف الجيش البيزنطى . واستقبل رومانوس القائدين استقبالا حافلا وانعم عليهما بأثمن وأفخر هداياه . وفى ربيع عام ١٠٧١م ، زحف العاهل البيزنطى على راس جيش جرار لقتال السلاجقة مصطحبا معه اريسغى . لكن بمجرد وصول الجيش البيزنطى الى بثينـيا Bithynie ، توفى مانويل . فحزن عليه رومانوس حزنا بالغا ، لأنه كان يكن لقائده كل حبه وتقديره . كذلك تمنى اريسغى

ان يموت معه على حد قول برينيوس . انظر :

Bryennios, ch. XI-XII, pp. 100-104.

(٣٦) بمجـــــرد تولى رومانوس الرابع (١٠٦٨ — ١٠٧١م) عـــرش الامبراطورية البيزنطية ، نظم حملات لاسترداد ما سلخه الاتراك السلاجقة من جسد الرجل المريض . فسار على راس جيشه من سيواس الى كبادوكيا وليكاندوس وقيصرية ، وواصل زحفه الى ان وصل الى مرعش (التفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 105, 110, 118, 121, 125 cf. Laurent. Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 25.

وفى نهاية عام ١٠٦٨م ، تمكن من الاستيلاء على منبج الواقعــة على الضفة الغربية لنهر الفرات ونصب حامية بيزنطيــة على ارتاج شرقى انطاكية (أنظر :

(Michel le Syrien, Chronique, III, p. 168.

ثم عاد الى قبدوقيا حيث نجح فى طرد السلاجقة من قيصرية وذلك سنة ١٠٦٩م/٤٦٢هـ) وتسلل الى غرب ارمينيــة . لكن قائده فيلاريتوس الذى كان يحكم ملطية ، منى بهزيمة على يد الاتراك السلاجقة بالقرب من نفس هذه المدينة . وفى غضون ذلك تمكنت بعض الكتائب السلجوقية من نهب قونية وفشـل رومانوس فى مطاردتهم . وفى سنة ١٠٧٠م (٤٦٣هـ) شـق القائد السلجوقى اريسغى — زوج شقيقة الب ارسلان — عصا الطاعة وانضم الى صفوف الجيش البيزنطى . الا ان العاهل السلجوقى طالب بتسليمه الخائن اريسغى ، فرفض رومانوس مطلبه ، فكان ذلك

من بين اسباب اندلاع حرب ملاذكرد . انظر ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان — مخطـــوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٦ح ، ورقات ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ . انظـــر يضـــا حاشية رقم ٣٩ . وللتفاصيل عن حملات رومانوس السابق ذكرها انظر :

Zonoras, pp. 690-695; Scylitzès, Synopsis Historiarum, new ed. I, Thurn, Berlin, 1973, pp. 670-676; 681-684. cf. Cahen, Première Pénétration Turque en Asie Mineure, London, 1974, pp. 26-27; Charanis, The Byzantine Empire in the eleventh Century, dans A History of the Crusades, ed. Setton, London, 1969, p. 199; Le Bas, L'Asie Mineure depuis les Temps les plus anciens jusqu'à la Bataille d'Ancyre en 1402, Paris, 1973, p. 512; Grousset, Histoire de l'Arměnie, Paris, 1973, pp. 623-624; Schlumberger, L'Epopée Byzantine à la fin du dixieme siecle, Paris, 1905, III, pp. 600-610.

انظـــر ايضـــا ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم — حيــــدر اباد الركن ١٣٥٨هـ ، جـ٨ ، ص٢٥٦ ، الذهبى : دول الاسلام — القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م جـ١ ، ص٢٧٠ ،

(٣٧) ذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكـــل لسكيلتزز وزوناراس ان الامبراطور البيزنطى غادر القسطنطينية فى يوم الاحد الثالث عشر من مارس سنة ١٠٧١م (٤٦٣هـ) ، وتوجه الى قصر هييرا Hiera (انظر :

Attaliate, p. 142; Skylitzès Continué, p. 142.

وعن قصر هييرا Hiera انظر :

Janin, Constantinople Byzantine. Développement

urbain et reportoire topographique, Paris, 1964. pp. 498-499.

ومن هيرا توجه العاهل البيزنطى الى هلينوبولس Helenopolis المطلة على خليج نيقوميديا . انظر :

Attaliate, p. 144; Skylitzès

Continué, p. 142.

(٣٨) افرد برينيوس ثلاثة فصول من كتابه الاول للحديث عن الاتراك السلاجقة قبل احتكاكهم الحربى بالبيزنطيين . اذ خصص الفصل السابع للحديث عن اصل السلاجقة وبداية العلاقات بين محمود الغزنوى وطغرل بك (انظر :

Bryennios, I, ch. VII, pp. 88-91.

اما الفصل الثامن فقد خصصه للحديث عن حملة محمود الغزنوى التى خصصها لقتال طغرل بك (انظر :

Bryennios, livre I, ch, VIII, pp. 92-93

واخيرا ، افرد برينيوس فصله التاسع للحديث عن انتصار طغرل بك على محمود الغزنوى (انظر :

Bryennios, livre I, ch, IX, pp. 92-95.

والجدير بالملاحظة أن مؤرخنا انقض على مصنف سكيلتزز انقضاضا ونقل عنه الفصول من السابع الى العاشر (قارن Bryennios, livre I, ch. VII-X, pp.88-99. مع

Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope Supletus et emendatus, Ed. I Bekker, II, C.S.H.B., Bonn, 1839, pp. 566-571.

ويؤخذ على برينيوس انه خلط بين الغز وقبيلة تركية اخرى كانت قد نزحت نحو سهول جنوب روسيا (انظر :

Bryennios, I, ch. VII, p. 88.

وقد اعترف برينيوس بتفوق الاتراك السلاجقة فى فنـــون الاستراتيجية والتكتيكات الحربية اذ اظهـــر ذلك فى حديثه عن هجماتهم على الفاسبوراكان اذ قال « كان لقاء بين جنود عديمى الخبرة الحربية وجنود سلاجقة خبراء فى فنون القتال (انظـــر Bryennios, II, ch. X, p. 98.

ولم ينفرد برينيوس بتلك الشهادة اذ ان مؤرخى الارمن شهدوا لهم بذلك . فاريستاكيس اللاستيفرتى Aristakès de Lastivert المؤرخ الارمنى المعـــاصر والشـــاهد العيـــان لغزوات الاتراك السلاجقة لارمينية والمعاصر لمعركة ملاذكرد ، لم يجد من جانبه غضاضة فى امتـــداح اعداء بلاده والثناء عليهم . فتراه يحدثنا عن قوة جيش السلاجقة ، وحسن نظامه ، ودقة تدريبه ، وتفوقه على الارمن والبيزنطيين فى فنون الحرب والقتال ففى هذا الصدد يقـــول : « زحف جيش جرار (المقصـــــود الاتراك السلاجقة) بخيوله ، مندفعا كالصقور بسنابكه الصلبة كالاحجار ، واقواسه المقوطة ، وسهامه الحادة والمسمومة . فالجنود مشدودة بقوة فى احزمتهم ، ولم يكن بالمستطاع تحطيم سيور سنابكهم . فلقد تسلل الاتراك السلاجقة الى مقاطعة الفاسبوراكان ، وانقضوا على الارمن كالذئاب الجياع » (انظر :
Aristakès, tr. Canard, pp. 57-58.

كذاك شهد لهم بتلك المهارة الحربية كل من المؤرخ المكمل لحولية توماس اردزروني ومتى الرهاوى (انظر :
Thomas Ardzrouni, Histoire des Ardzrouni, tr, Brosset, St., Pétersbourg, 1874-1876, III, ch. XLI, P. 249; Matthieu d'Edesse, Chronique, tr. Dulaurier, Paris, 1858, ch. XXXVIII, pp. 41-42.

ويرجع أصل الاتراك السلاجقة الى قبائل الغز التركية (احمد بن فضلان رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ ــ دمشق ١٩٥٩ ص١٢٢) ، وهم من البــدو الذين كانوا يسكنون اقصى اقليم تركستـــان ، ثم هاجــروا ديارهم فى اوائل القرن الثانى الهجرى ، وحاولوا الاستقرار فى اقليمى ما وراء النهر وخراسان ، وقد أطلق عليهم اسم « السلاجقة » نسبة الى قائدهم سلجوق بن دقاق الذى نجح فى توحيد شملهم تحت زعامته للتفاصيل المطولة انظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيـــان ــ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٢٧٦ح ــ جـ٨ ، ورقة ٣٥٣ وما بعدها ، ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ١٥٦٦ تاريخ ، جـ٣ ، ورقة ٢٨٦ أ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ــ بيروت ١٩٦٥ جـ٩ ، ص١٧٥ وما بعـدها ، خوالندمير : دستور الوزراء ــ ترجمــة حـربى أمـين ــ القــاهرة ١٩٨٠ ــ ص٢٤٣ وما بعـــدها ، البيهقى : تـاريخ مسـعودى المعــروف بتــاريخ البيهقى ــ ترجمـة يحيى الخشــاب ــ طهران ١٣١٩هـ ، ص٤٣٤ وما بعدها ، حميد الله مستوفى قزوينى : تاريخ كزيدة ــ بمباى ١٣٧٣هـ ص٥٢٨ وما بعدها ، الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ــ ليدن ١٩٢١ ، ص٨٦ وما بعدها ، البندارى الاصفهانى : كتاب تواريخ دولة آل سلجوق ــ مصر ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ص٦ ، وما بعدها ، الحسينى زبدة التواريخ ، اخبار الامراء والملوك السلجوقية ــ تصحيح محمد اقبال ــ لاهور ١٩٣٣ ص٣ وما بعدها ، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ــ حيدر آباد الدكن ١٣٥٨هـ ، جـ٨ ص١٦٣ وما بعدها ،

قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس : إدارة الامبراطورية البيزنطية — ترجمة محمود سعيد عمران — بيروت ١٩٨٠ — ص١٣٩ — ١٤٠ . انظر ايضا عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق — القاهرة ١٩٧٠ — ص١٦ وما بعدها ، السيد الباز العريني : المغول — بيروت ١٩٨١ — ص٢٩ وما بعدها ، حسين امين : العراق فى العصر السلجوقى — بغداد ١٩٦٥ ، ص٤٦ وما بعدها .

(٣٩) خريسوسكولوس Chrysoskoulos هو الاسم اليونانى للقائد السلجوقى « اريسغى » ، اذ قال عنه ابن الجوزى « كان اريسغى زوج اخت السلطان من جماعة الناوكية ، وكان السلطان يطلبهم ، فساروا متحازين الى بلاد الروم خائفين من السلطان » (انظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٣٦ج — ورقة ٣٦٦) . وفى موضع آخر يقول سبط الجوزى : « ان ابن اريسغى هرب من السلطان ومعه طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية » (انظر سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ج٩ ، ورقة ٣٧٠) . وعندما علم السلطان السلجوقى بخيانة صهره : « بعث ميخائيل لقتاله ظنا منه انه عدو ، فلما قرب منه ميخائيل ، ارسل اليه ما جئت لاحاربكم وانما جئت ملتجأ اليكم من السلطان . فقال كذبت ، فقال لو كان هذا صحيحا لما اخربت بلادنا ونهبت وقتلت . فحلف له، ولم يصدقه ، واقتتلوا فنصر اريسغى على الروم ، فقتل منهم خلقا عظيما واسر وقطع عليه سبعين قنطارا ذهبا » (انظر سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ج٩ ، ورقة ٣٧١ . انظر ايضا : **Cahen, La Première Pénétration Turque en Asie-Mineure, dans Turcobyzantina et Oriens Christianus,**

London, 1974, fasc. I, p. 27, n. 3; Idem, La Campagne de Mantzikert d'après les sources Musulmanes, dans Turcobyzantina, fasc. II, p. 625; Idem, Pre-Ottoman Turkey. A General Survey of the Material and Spiritual Culture and History, London, 1968, pp. 22, 71, 75.

وقد اورد كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيليتزز وزونوراس أن الامبراطور البيزنطى رومانوس انعم على خريسو سكولوس بلقب « بروودر » **proèdre** (انظر

Attaliate, pp. 141-142; Skylitzès Continué, p. 141 Zonoras, p. 695

وللتفاصيل عن لقب « بروودر » انظر مقال شارل ديل فى مجموعة البحوث المقدمة تكريما لشلمبرجيه

Diehl, Le Titre de Proèdre, Mélanges Schlumberger, t. I, p. 105 et suiv.

كذلك وصفه مؤرخو الروم بقولهم انه كان شابا قصير القامة ، قبيح الوجه . ويذكر اطالياطس ان الامبراطور البيزنطى استقبل خريسوسكولوس فى اول الامر استقبالا فاترا بعد أن انتظر القائد السلجوقى اياما عديدة للفوز بهذا الاستقبال (انظر : **Attaliate, p. 142.** وقد انتقم السلطان السلجوقى الب ارسلان من خيانة اريسغى بأن قام قائده الافشين بتخريب اناطليا **Anatolie** حتى خونى **Chones** (انظر سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ج٩ ، ورقة ٣٧١ ، انظر ايضا :

Cahen, Pénétration, pp. 27-28;
Idem, Mantzikert, pp. 626-627; Idem, Pre-Ottoman, pp. 71-72.

انظر كذلك حاشية رقم ٣٥) ويسميه متى الرهاوى "جويدريدرج" **Guedridj** (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. CI, p. 162.

(٤٠) اكتفت المصادر البيزنطية بالقول ان رومانوس قاد جيشا جرارا على درجة كبيرة من الاهمية . اما المصادر الاسلامية ، فقد زودتنا بأرقام خيالية مبالغ فيها من تعداد الجيش البيزنطي . فسبط بن الجوزي (مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ج٩ ، ورقة ٢٧٣) قدر عدد جيش رومانوس بأربعمائة الف مقاتل ، اذ يقول : « كان ملك الروم فى مائة الف مقاتل ، ومائة الف نقاب ، ومائة الف جرخى ، ومائة الف صانع ، واربعمائة عجلة يجرها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير ، والفا عجلة عليها السلاح والمجانيق وآلة الزحف . وكان فى عسكره خمسة آلاف بطريق ومعه منجنيق عده الف رجل ومائتا رجل ، ووزن حجره عشرة (فى الاصل عشر قناطير) وكل حلقة منه مائتا رطل بالشامى وكان فى خزانته الف الف دينار ، ومائة الف ثوب ابريسم ، ومن السروج والذهب والمناطق بمثل ذلك » (وقد اخطأت الدكتورة اسمت غنيم فى مقال لها بعنوان « معركة منزيكرت فى ضوء وثائق بسللوس » ، ص٢١٧ حين قالت ان ابن الجوزى قدر الجيش البيزنطى بمائة الف مقاتل) . والحقيقة ان رواية سبط بن الجوزى فيها الكثير من المبالغة العددية ، ولكنها فى نفس الوقت تشير الى ضخامة الحشود والاستعدادات التى اعدها العاهل البيزنطى لسحق السلطان السلجوقى وجيشه فى معركة فاصلة . هذا عن رواية سبط بن الجوزى اما ابن العديم ، فقد قدر عدد جند الروم بثلاثمائة الف او ما يزيدون ، اذ يقول « والروم فى زهاء ثلاثمائة الف او ما يزيدون ، مابين فارس وراجل من جموع مختلفة ، من الروم ، والروس ، والخزر ، واللان ، والغز ، والقفجق ، والكرج ، والابخاز ، والفرنج ، والارمن . وفيهم خمسة آلاف جرخى ، وفيهم ثلاثون الف مقدم بين كوقس وقومس وبطريق » . (انظر

زبدة الحلب فى تاريخ حلب ــ تحقيق سامى الدهان ــ بيروت ١٩٥٤ ، جـ٢ ، ص٢٤) واذا انتقلنا الى رواية ابن الاثير ، فيذكر ان ملك الروم كان « فى مائتى الف من الروم والفرنج والغز والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد » (انظر الكامل فى التاريخ ــ بيروت ١٩٦٨ ــ جـ٨ ، ص١٠٩) . وقد تشابهت الروايات الاسلامية مع رواية سبط بن الجوزى ، بل ان ابن كثير ذكر صراحة أنه نقل عنه رغم أنه خفض اعداد الجيش البيزنطى الى ثلثمائة الف مقاتل . (انظر ابن كثير : البداية والنهاية ــ بيروت ١٩٦٦ ــ جـ١٢ ، ص٩٩ ــ ١٠٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ ، العينى : عقد الجمان ــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٤ ، أبو الفداء : المختصر فى اخبار البشر ــ المطبعة الحسينية القاهرة ــ جـ٢ ، ص١٨٦ ــ ١٨٧ ، ابن الوردى : تتمة المختصر فى اخبار البشر ــ القاهرة ١٢٨٥هـ ــ جـ١ ، ص٥٦٣ ، ابن الازرق الفارقى : تاريخ الفارقى ــ تحقيق بدوى عبد اللطيف عوض ــ بيروت ١٩٧٤ ، ص١٨٦ ــ ١٩٠ ، ابن النظام الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ــ تحقيق عبد المنعم محمد حسنين ــ بغداد ١٩٧٩ ، ص٤٧) . أما المؤرخ الارمنى المعاصر اريستاكيس اللاستيفرتى ، فقد اكتفى بالقول ان العاهل البيزنطى بذل قصارى جهده لحشد كتائب لا حصر لها . (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

والواضح ان ثمة مغالاة فى تقدير اعداد وعتاد الجيش البيزنطى ، ومع ذلك ، فلاشك ان هذه الحملة فاقت فى عدد جنودها الحملات التى سبق أن قادها رومانوس فى آسيا الصغرى ، بل حملات

كل اباطرة الروم كما ذكر ذلك صراحة نقفور برينيوس . والجدير بالملاحظة ان الجيش البيزنطي لم يكن يزيد أعلى ما بلغه من عدد على مائة وعشرين الف مقاتل . منها ما يقارب السبعين الفا من الوية الثغور الشرقية ، والباقى من الالوية الغربية وفرق الجيش المركزى (انظر :

Bury, Eastern Roman Empire, p. 226.

على اية حال ، كان ينقص الجيش البيزنطي المشكل من اقوام عديدة ، التدريب الجيد ، والتنظيم الحسن ، ووحدة الصف والكلمة ، وانعدام الغدر والخيانة . وزاد الطين بلة ، عدم حصول الجند على رواتبهم ، فأرهقهم الفقر . كل هذا جعل الجيش البيزنطي رغم عدده الخيالى ، منخور القوى ، غير قادر على الاستمرار فى قتال السلاجقة القليلى العدد والذين كانوا يعتمدون على أخيلتهم السريعة الحركة وعلى مهاراتهم فى فنون الاستراتيجية والتكتيكات الحربية ، والذين كانوا يتصفون بشجاعة فائقة شهد بها كل المؤرخين المعاصرين . هذا عن اختلاف آراء المؤرخين المسلمين حول تعداد الجيش البيزنطي وتقييم سريع للقوتين المتصارعتين . واذا انتقلنا الى تعداد الجيش السلجوقى، نلاحظ ايضا تباين الاراء . فسبط بن الجوزى قدر الجيش السلجوقى بأربعة عشر الف جندى ، وهو ما نميل الى ترجيحه . اذ قال « وكان قد اجتمع عليه عشرة آلاف من الاكراد وانما اعتماده بعد الله تعالى على الاربعة الف الذين كانوا معه » (انظر مرآة الزمان ، ج٩ ، ورقة ٣٧٣) . اما ابن الاثير ، فيذكر ان الب ارسلان تمكن من جمع خمسة عشر الف فارس (انظر الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص١٠٩) ، كذلك كان رأى ابن العديم (انظر زبدة الحلب ، ج٢ ، ص٢٦ — ٢٧) . اما ابن الجوزى

(المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) وابن كثير (البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١) والعينى (عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥) فقد قدروا جيش الب ارسلان بعشرين الف فارس . واخيرا يأتى ابن انتظام الحسينى (العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ص٤٧) الذى خفض عدده الى اثنى عشر الف فارس

(٤١) كانت « نيقية » من اقوى واهم مدن آسيا الصغرى ، وتقع على شواطىء بحيرة نيقية وكانت تلك البحيرة تصلها ببحر مرمرة . عنها انظر ياقوت : معجم البلدان — نشر دار صادر بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧ — جـ٥ ، ص٣٣٣ ، ابن حوقل : صورة الارض — بيروت ١٩٧٩ — ص١٧٧ . وأيضا فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية — القاهرة ١٩٦٦ — جـ١ ، ص٢٠١ — ٢٠٣ .

(٤٢) ذكرت آن كومنين ، زوجة مؤرخنا نقفور برينيوس ، فى كتابها الالكسياد ، ان والدة الكسيس كومنين حثته على الذهاب للقاء الامبراطور البيزنطى رومانوس للانخراط فى صفوف جيشه . فمثل الكسيس امام العاهل البيزنطى بالقرب من دوريليوم Dorylée لكن رومانوس اجبره على العودة الى والدته وقد أورد نقفور برينيوس نفس هذه المعلومات . انظر :

Nicephore Bryennios, ch. XII, p. 104;

وقارنه مع

Anne Comène, Alexiade. texte traduit par B. Leib, Paris, 1937-1943-1945, t. I, p. 9.

وكان الكسيس — والد آن كومنين يبلغ من العمر آنذاك اربعة عشر عاما انظر :

Anne Comène, op. Cit., p. 9.

(٤٣) غادر رومانوس دوريليوم ، وواصل زحفه الى ان وصل الى كلتزين Keltzène (للتفاصيل عن كلتزين انظر :

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando, II, Commentary, p. 164.

كان ذلك فى شهر يوليو من عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (انظر :

Attaliate, p. 145; Skylitzès Continué, p. 143.

ولقد ذكر ميخائيل السريانى فى حوليته أن الامبراطور البيزنطى قال بتكبر وغطرسة انه سيهزم الاتراك السلاجقة ، وسيقبض على سلطانهم ويحرقه حرقا . فى حين أن السلطان السلجوقى تعهد فى حالة انتصاره وقبضه على رومانوس أن يعامله بكرم ورحمة ، ويعيده بسلام وأمان الى بلاده انظر :

Michel le Syrien, Chronique, tr. Chabot, Paris, 1899, III, p. 169.

(٤٤) Nicephore Bryennios, tr. Gautier, livre I, ch, XIII, pp. 104-106; tr, Henri Grégoire, livre I, ch. XIII. pp. 487-488.

(٤٥) بعد أن عبر العاهل البيزنطى نهر هاليس Halys ، توجه الى قيصرية Cesarée ثم اقام معسكره فى مكان يسمى كريا بيجيه Krya Pègè حيث قام بقمع ثورة مفاجئة قام بها النمتزى (الالمان) Nemitzi (Allemand) (للتفاصيل انظر :

Attaliate, p. 146; Skylitzès Continué, p. 143, Zonoras, p. 606.

وكان اقليم قبدوقيا منذ عهد الرومان أفضل اقليم لرعى الخيل ، ووجدت به مراع لتربية الخيل الخاصة بالامبراطور البيزنطى . انظر وسلم عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ـ الاسكندرية ١٩٨٢، ـ جـ١ ، ص٣٣٩ حاشية ٢٩ .

(٤٦) اطلق مؤرخو الارمن على الاتراك السلاجقة اسماء عديدة منهـا « ثيلمنيس » Théloumnis و « ديليميت » Dilemites ، و « ايليمين » Tatars و « سكيث » Scythes و « تاريسكيث » Elyméens ، « وامة الوسط » (الميدى) Scythes la nation du Midi

(انظر :

Matthieu d'Edesse, pp. 9. 93; Thomas Ardzrouni, III, ch, XII, P. 249; Aristakés de Lastivert, tr. Canard, ch. XXV, pp. 124-132.

ويرى مؤرخو الارمن أن غـزوات الاتراك السلاجقـة من عداد المصائب الكبرى التى لحقت بأرمينية والامبراطورية البيزنطية . ونستشف من رواياتهم حقدهم الذى لا حدود له بالنسبة للاعداء المستعبدين السلاجقة من وجهة نظرهم يتشابهون بالفئات الجائعة الشرهة » (انظر Aristakès, op. cit., p. 58. فهم قتلة ومدمرون ومن مرتكبى اعمال العنف والاجرام والاسوأ من هذا كله ، انهم ينتهكون الحرمات والمقدسات (انظر :

Aristakès, op. cit., 61; Matthieu d'Edesse, pp. 98 et suiv.; Thomas Ardzrouni, pp. 249 et suiv.

وكان الموضوع الرئيسى فى مصنف اريستاكيس هو غزوات الاتراك السلاجقة ، فبتأثير هذه الاحداث المعاصر والشاهد عيان لهـا ، كتب اريستاكيس تاريخه ، ذلك لان مؤرخنـا يسرد « احداث المصائب التى كان سببها الشعوب الاجنبية التى تحيطنـا « اى تحيط وطنه ارمينية » وقد خصص اريستاكيس الفصل الخامس والعشرين من مصنفه للحديث عن موقعة ملاذكرد ، وزودنا فيه بمـادة تاريخية على درجة كبيرة من الاهمية (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, pp. 124-132;
Arisdagues, tr. Prud'homme, ch. XXV, pp. 141-147.
والملاحظ كذلك أن المؤرخين البيزنطيين يسمون الاتراك السلاجقة
« أوزز » Ouzes (انظر على سبيل المثال :
Skylitzès Continué, Tsolakis, pp. 125 et suiv.

ولقد واصل السلاجقة توغلهم واجتياحهم المستمر لاراضى الامبراطورية البيزنطية فاقتطعوا من اراضيها السهول والهضاب والمناطق المكشوفة ، بل ومدنا هامة كارزن سنة ١٠٤٨م (٤٤٠هـ) وفرسيبا سنة ١٠٥٤م (٤٤٦هـ) ، وملطية سنة ١٠٥٧م (٤٤٩هـ) وسيواس سنة ١٠٥٩م (٤٥١هـ) وآنى سنة ١٠٦٤م (٤٥٦هـ) ، وقيصرية سنة ١٠٦٧م (٤٥٩هـ) ، وقونية وعمورية سنة ١٠٦٨م (٤٦٠هـ) وهوناس — سنة ١٠٦٩م (٤٦١هـ) (للتفاصيل المطولة انظر :
Matthieu d'Edesse, pp, 83, 98-102, 107-108, III, 125-126; Michel le Syrien, III, 158-159, 166; Aristakès, ch. 13, 16, 17, 21. Cf. Cahen, Première Pénétration Turque, pp. 12 et suiv.

وكان حادث خيانة اريسغى وامتناع رومانوس عن تسليمه ، بمثابة اهانة شخصية للسلطان السلجوقى الب ارسلان . لذا ، فى نفس هذا العام اى فى عام ١٠٧٠م (٤٦٢هـ) قام بغزو أرمينية البيزنطيـة ، وتمكن من الاستيلاء على ملاذكرد . ويذكر متى الرهاوى فى هذا الصدد ان البيزنطيين تركوا المدينة بلا حامية تدافع عنها ، وتدرأ عنها الاخطار الجسيمة المحدقة بها (انظر :
Matthieu d'Edesse, CII, p. 163.

كذلك تمكن العاهل السلجوقى من الاستيلاء على أرجيش الواقعة على شواطىء بحيرة فان ، ثم زحف على الرها ، فاستولى وهو فى

طريقه اليها على تلعة تلخوم (Toulkhoum) Thelkhoum فى انجلين Ingilène وقلعتى ثلثوفراف Thelthovrav واريد زاثيل Arioudzathil (انظر :

Matthieu d'Edesse, CII, p. 163. Cf. Honigman, Die Ostgrenze des Byz. Reiches von 363 bis 1071, Bruxelles, 1935, p. 142.

ثم قام بمهاجمة الرها بعد ان انضم اليه الامير الكردى ابا الاسور اميرد وبن كان ذلك فى العاشر من مارس سنة ١٠٧١م (٤٦٣هـ) (للتفاصيل انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. CII, pp. 164-165.

وقد قام حاكم المدينـــة المدعو باسيل Basile بالاستماتة فى الدفاع عنها وبذلك فشلت اقوى اسلحة الحصار السلجوقية الاكثر تقدما فى اسقاطها . وبعد حصار دام خمسين يوما ، يأس السلطان السلجوقى من اسقاطها ، فرحل عنها بعد أن قام باتلاف حدائقها ومزارعها ومحاصيلها وتدمير ضواحيها . (للتفاصيل انظـر : Matthieu d'Edesse, ch. CII, p. 165.

(٤٧) اخطـــر الب ارسلان باستعدادات الامبراطور البيزنطى اثنـــاء انشغاله بحصار حلب (للتفاصيل عن حصـــاره لحلب انظـــر الدوادارى : الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية — تحقيق صلاح المنجدوهوالجزء السادس من كتاب كنز الدر وجامع الغرر — القاهرة ١٩٦١ ، ص٣٨٧ وما بعدها ، ابن العـــديم : زبدة الحلب ، ج٢ ص١٦ وما بعـــدها ، ابن القـــلانسى : ذيل تاريخ دمشق — بيروت ١٩٠٨ — ص٩٨ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل فى التـــاريخ — بيروت ١٩٦٥ — ج١٠ ، ص٢٤ وما بعـــدها ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — مطبعة

دار الكتب المصرية جه ، ص٧٢ وما بعدها ، القلقشندى : صبح
الاعشى فى صناعة الانشا — القاهرة ١٩٤٦م — جـ٤ ، ص٢٧٠
وما بعدها ، ابن ميسر : تاريخ مصر القـاهرة ١٩١٩ — ص١٩
وما بعدها ، ابن الشحنة : الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب —
بيروت ١٩٠٩ ، ص٦٤ (وما بعدها) . وكان ذلك فى شهر مايو
من عام ١٠٧١م (٤٦٣هـ) . وفى هذا الصدد يقول ابن الجوزى :
«وردت رسل الروم برد منبج وارجيش ومناذكرد اليه ويحمل اليه
الهدنة ، وجاءه خبر الافشين وعوده سالما وضجر السلطان من
المقام فى حلب ، فكر راجعا ، فقطع الغزاة وهلك اكثر الدواب
والجمال وكان رجوعه شبه الهارب ، ولم يلتفت الى ما ذهب من
الارواح والدواب وعاد رسول الروم مستبشرا الى صاحبه،فقوى
ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه » (انظر مرآة الزمان ،
جـ٩ ، ورقة ٣٧٠) . ومما يذكر ان متى الرهاوى اخطأ وذكر ان
الب ارسلان هو شقيق طغرل بك (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch, LiXXXVIII, p. 120.

وصحة ذلك ان الب ارسلان هو ابن شقيق طغرل بك ، اذ يقول
ابن العديم فى مخطوطه بغية الطلب فى تاريخ حلب «هو الب ارسلان
ابن جغرى بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق ، وقيل سلجق ...
استقر فى السلطنة حين توفى عمه السلطان طغرل بك فى الثامن
من شهر رمضان سنة خمس وخمسين واربعمائة وكان ولى عمه ،
لأن عمه لم يكن له نسل ، فملك الب ارسلان بعده» . (انظـر
بغية الطلب — مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ —
المجلد الثالث ، ورقة ٢٧٩ ب ، ابن خلكان : وفيات الاعيان —
القاهرة ١٢٧٥هـ — جـ٢ ، ص٤٤٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ،
ص٢٧٩ ، ابن النظام الحسينى : العراضة فى الحكاية السلجوقية ،

ص٤٥ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٧٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠٧) .

(٤٨) المقصود هنا « وسطان » وتقع وسطان على الشاطىء الجنوبى لبحيرة فان Van في مواجهة جزيرة اجثمار Agthamar مقر امراء الفاسبوراكان . انظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص٢٨٧ وص٢٩٥ وايضا Honigman, Ostgrenze, p. 209.

(٤٩) اطلق قديما على « الفاسبوراكان » اسم « ميديا » «Médie» وقد ورد ذكرها على هذا الشكل في مصنف زونوراس (انظر Zonoras, p. 636.

والملاحظ ان المصادر البيزنطية تطلق عادة لفظ « اسبوراكان » «Aspourakan» على الفاسبوراكان . ووردت على شكل « بسفرجان » في المصادر الاسلامية ، بضم الفاء ، وسكون الراء ، وجيم والف ونون : ويعرفها ياقوت في معجمه بانها « كورة بأرض اران ومدينتها النشوى ، وهى « نقجوان » . انظر ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٢٢ ، البغدادى مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع — تحقيق على محمد البجاوى — القاهرة ١٩٥٤ — جـ١ ، ص١٩٧ . ومما يذكر ان الدكتور عمران ترجمها « باسباراكا » «Basparakanite» دون ان يزودنا بتفاصيل موقعها . انظر : امارة الامبراطورية البيزنطية ، ص١٦٨ ـ علما بأن النص المترجم يتعلق بجاجيك ارتزرونى (٩٠٨ — ٩٣٦م) Gagik Ardzrouni حاكم الفاسبوراكان . انظر :

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, trans. R.J.H. Jenkins, Budapest, 1949, Vol. I, ch. 45, p. 209; Vol. II, Commentary, ch. 45, p. 175;

Arisdagues de Lasdiverd, Histoire d'Arménie, tr. Prud'homme, p. 31, n. 4. Cf. Laurent, L'arménie entre Byzance et l'Islam. Nouvelle edition par Marius Canard, Lisbonne, 1980, p. 42.

(٥٠) « الماجستروس » «Magistros» من الوظائف الهـامة فى البلاط البيزنطى ، وتتساوى مع وظيفة مستشار الدولة فى بداية الامر ، وجد ماجستروس واحد ، ولكن مع مرور الزمن وصـل عددهم الى اربعـة عشر . كذلك اعطى هذا اللقب الى قواد الجيش وخاصـة قادة سـلاح الفرسـان والمشـاة . وكان الماجستروس فى مرتبة تفوق مرتبة القربلاط . للتفاصيل انظر : Arisdagues, p. 10, n. 3; Aristakès, p. 6, n. 3. Cf. Bréhier, Les Institutions de l'Empire Byzantin, Paris, 1949, pp. 101-102.

(٥١) فى جروسيه جوزيف تراخانيوتس Trakhaniotès وصحتهـا ترخانيوتس Tarchaniotès ، انظر H. de l'arménie, p. 627.

وجوزيف ترخانيوتس كان من اصل كرجى ، وهو والد كتاكالون Katakalon وايلين ترخانيـوتس . (للتفـاصيل عن هذه الاسرة انظر :

Lemerle, Actes de Kutlumus, Paris, 1945, p. 145, Gautier, Etude Prosonographique, R.E.B., 29, 1971, pp. 254-255; Polemis, The Doukai, Londres, 1968, p. 183.

وقد تخلى القائد العسكرى جوزيف ترخانيوتس عن منـاصرة العاهل البيزنطى رومانوس عقب هزيمة ملاذكرد سنة ١٠٧١م

(٤٦٣هـ) ، وشغل منصب حاكم انطـــاكية منـذ عام ١٠٧٢
(٤٦٥هـ) حتى عام ١٠٧٤م (٤٦٧هـ) . انظر :

Laurent, La Chronologie des Gouverneurs d'Antioche sous la seconde domination byzantine, Mélanges de l'Université Saint-Joseph, 38/10, 1962, p. 249.

أما ابنه كتاكالون ، فقد شغل منصب حاكم ادرنة حتى اواخر عام ١٠٧٧م (٤٧٠هـ) ، وزوج آنذاك شــقيقته ايلـــين Hélene بابن الثائر نقفور برينيوس (أنظر :
Nicephore Bryennios, liv, III, ch. VII, p. 224.

كذلك نجح كتاكالاون فى رد هجمات الكومان Commans من ادرنة فى اوائل عام ١٠٩٥م (٤٨٨هـ) (انظر :
Anne Commène, Alexiade, II, p. 194.

(٥٢) هو جد مؤرخنا.ووظيفته دوق الغرب كانت تعادل وظيفة دمستق شولز الغرب

Scholes d'Occident

Domestioue des Guilland, Recherches sur les Institutions byzantines Berlin, 1967, t. I, p. 430.

Nicephore Bryennies, tr. Gautier, I, ch. XIII, p. 104; tr, Henri Grégoire, I, ch. XIII, pp. 487-488.

(٥٤) « ثيودوسيوبوليس » «Théodosioupolis» فى المصادر البيزنطية ، و « كارين » «Karin» فى المصــادر الارمنيـــة ، وقاليقلا فى المصادر الاسلامية . يقول عنها البغدادى : « قاليقلا بأرمينيـــة العظمى ، من نواحى خلاط ، ثم من منازجرد من نواحى ارمينية الرابعة » (انظر : مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٠٥٩) . ولا تبعد

الا قليلا عن ارزن الروم . وتعتبر اهم الحصون، ومن اهم المراكز التجارية اذ كانت تحمل اليها متاجر بلاد فارس والهند وسائر ما يرد من آسيا والامبراطورية البيزنطية برسم طرابيزون . وتقع على أطراف بلاد الارمن (انظر :

Schlumberger. L'Epopée Byzantine, II. pp. 470-480; Manandian, The trade and Cities of Arménia in relation to the Ancient World, tr. N. Garsoian, 1965, p. 145.

وكانت منذ القدم تسمى « كارين » ، وقام الامبراطور البيزنطى ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠م) باعادة تشييدها وتعميرها وتحصينها . كما قام بتغيير اسمها الى ثيودوسيوبوليس نسبة الى اسمه ، وكانت منذ ذلك الحين المركز العسكرى ، والادارى لارمينية البيزنطية ، والحصن البيزنطى المنيع للاقاليم القوقازية عن ذلك انظر :

Aristakès, tr. Ganard, p. 11 et n. 3; Matthieu d'Edesse ch. LXXIII, p. 402, n. 2; ch. LXXXVII, p. 409, n. 9. Cf. Laurent, L'Arménie, p. 44, Idem, Byzance et les Turcs Seldjoucides dans l'Asie Occidentale jusqu'en 1081, Nancy-Paris, 1919, pp. 22, 31 et n. 8.

وقد زودنا ابن الاثير ، نقلا عن البلاذرى ، بتفسير طريف عن سبب تسميتها قاليقلا ، اذ قال « انما سميت قاليقلا ، لأن امرأة بطريق ارمينياقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمتها قالى قلة ، وتعنى احسان قالى ، فعربها العرب فقالت قاليقلا » (انظر الكامل فى التاريخ جـ٣ ، ص٨٤ ، وقارنه مع البلاذرى : فتوح البلدان — تحقيق صلاح المنجد — دار النهضة العربية القاهرة (بدون تاريخ — جـ١ ، ص٢٣٤) ويذكر كل من اطاليلطس والمؤرخ

المكل لسكيلتزز ان الاهتمام بتحصين هذه المدينة أصابه الكثير من الاهمال لمدة طويلة من الزمن الا انه قبيـل معركة ملاذكرد حظيت تحصيناتها باهتمام بيزنطة البالغ ، واعيدت الى ما كانت عليه من مناعة وحصانة . (انظر :

Attaliate, p. 148; Skylitzès Continué, E. Th. Tsolakis, pp. 144, Cf. Lemerle, Le Typiken de Grégoire Pakourianos (Decembre 1083, dans Cinq Etudes sur le XIe siècle Byzantin, Paris, 1977, art. III, p. 167.

وقد ذكر اريستاكيس أنـه بوصـول الجيش البيزنطى الى ثيودوسيوبوليس ، قام رومانوس بتفقد تشكيلاته انظر :
Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

(٥٥) زودنا المؤرخ اطاليانس Attaliate شاهد العيان والمنخرط فى صفوف تلك المعركة الحاسمة ، بلوحة قاتمة عن احوال الجيش البيزنطى قبيل معركة ملاذكرد فقال : « هذه الكتائب المشهورة ، خفضت اعدادها التى بضع رجال طحنهم الفقر ، بلا اسـلحة ولا خيول ، وكانوا فى طى النسيان ، ذلك لانه منذ سنين عديدة لم يقم أحد الأباطرة بحملة على الشرق . كذلك لم يتقاضوا رواتبهم ، واعتقدت بهم الامور ان يذوقوا ادائما كأس الهزيمة ، وكانوا معوزين للغاية ، وتنقصهم ضروريات الحياة نقصا يكاد يكون كاملا ففقدهم كل ذلك شجاعتهم ، بل ان رنوكهم كانت شـاهدا صامتا على احوالهم السيئة البائسة ، اذ كانت قذرة وكأنها مغطاة بسواد الدخان » (انظر Attaliate, 103 . ولم تقل صورة المؤرخ المكمـل لحوليـة سكيلتزز اظلاما اذ قال : « طرأت تغييرات كبرى على ذلك الدرع الشهير الامبراطورية والمتمثـل فى الجيش القـومى

القديم المجند فى الثيمات . هذه الكتائب التى كانت قد هزمت من قبل كل الشرق والغرب ، أصبحت الآن تستخدم أسلحة الصيد والمناجل ، اضافة الى ذلك ، لم يتقاض هؤلاء الجنود رواتبهم منذ زمن طويل ، ذلك لأن الامبراطور لم يقم بحملة اطلاقا . واعتبروا فى حكم جنود عديمى الفائدة لايستحقون رواتبهم،فرواتبهم بمثابة اعباء مالية لا فائدة منها . هكذا كان حال الجيش القومى فى آسيا الصغرى . لذا اعتمد رومانوس على جيوش مرتزقة من المقدونيين والبلغار والقبدوقيين والغز Ouzes والورنك Varanges واضيف اليهم ايضا الاتراك » . انظر :

Skylitzes Continué, p. 125.

(٥٦) اختلفت رواية كل من اطاليطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وزونوراس ومتى الرهاوى عن رواية مؤرخنا نقفور برينيوس . فتذكر هذه المصادر ان الامبراطور البيزنطى اخذ بنصيحة قادته .

ففى سيواس Sébaste استقبل رومانوس الامراء الارذروونيين آتوم Atom وابا سهل Abousahl ثم توجه بعد ذلك الى ثيودوسيوبوليس حيث أنهى استعدادات جيشه لخوض المعركة الفاصلة ، وقام بتوزيع المؤن والمال على جنوده . (انظر :

Attaliate, p. 148; Skylitzes Continué, p. 144;
Zonoras, pp. 606-607; Matthieu d'Edesse, pp. 166-167.

وقد انفرد متى الرهاوى دون غيره من المصادر الأرمنية والبيزنطية والاسلامية باظهار العداء الذى كان يكنه البيزنطيون للارمن قبيل معركة ملاذكرد اذ قال فى هذا الصدد : «حشد الامبراطور البيزنطى جيشا هائل العدد ، مساويا فى عدده لرمال البحار ... وانخرط فى صفوفه أمراء الارمن آدوم (آتوم) وأبو سهل . لكن الروم نقلوا

وشايات الى الامبراطور ضد سكان سيواس وضد الامة الارمنية ،
اذ خدعوه قائلين له : عندما هزمنا الامير جويد ريدج Guedridj
(ويقصد هنا اريسغى ، زوج أخت السلطان آلب ارسلان انظر
حاشية رقم ٣٩) . دبت الفـــرحة فى قلوب الارمن ، وشمتوا
لهزيمتنا ، وانعدمت الشفقة من قلوبهم أكثر من الســلاجقة .
فأقسم ديوجينيس انه بعد عودته من حملته ضــد السلاجقة ،
سيفنى الأمة الارمنية وعقيدتها . وفى نفس الوقت ، اصدر اوامره
لجنوده بنهب سيواس ، فنفذ جنوده اوامره ، بل وتمادوا فى ذلك
بأن قتلوا العديد من سكانها . اما الامبراطور البيزنطى ، فقــد
قام بطـــرد ادوم وابى سهل ، فمع الحــداد والحــزن ربوع
سبواس . ومع ذلك فكبار رجال الامبراطورية قالوا لديوجينيس
« لا تصــغ لوشايات اتباعك ، فهم كاذبون ، ذلك لان الارمن
الذين خاضوا الحـــرب ضــد الاتراك ، كانوا حقا مخلصين فى
تحــالفهم مع الروم ، فكان من نتيجــة ذلك ان هدأ الامبراطور
البيزنطى . ومع ذلك ، فقد اقسم انه عقب عودته سيفنى العقيدة
الارمنيــة وعنــدما ســمع رجال الدين الارمن بنوايا رومانوس
وتهــديداته ، اخذوا يلعنونه فى صلواتهم ، داعين الا يعود من
ميدان القتال » انظر

Matthieu d'Edesse, ch. CIII, pp. 166-167.

على اية حال ، كان من الطبيعى على المؤرخ الارمنى متى الرهاوى
ان يدافع عن كل تهم تلصــق وتنسب الى بنى جنســـه . كذلك
كان حال المؤرخ الارمنى المعاصر اريستاكيس اللاستيفرتى الذى
ابرز بوضوح بالغ دور الارمن فى معــركة ملاذكرد ، وطبيعـــة
العــلاقات بينهم وبين الامبراطور البيزنطى ، والتى تقلبت بين

الجفاء والصفاء . اذ اظهر حقد رومانوس على الكتيبة الارمنية في أول الامر ، ثم تبدل هذه النظرة العدائية بسبب شجاعتهم وبسالتهم في القتال . وكان هدف اريستاكيس من روايته هذه ابعاد التهم الموجهة الى بنى جنسه والتى مفادها ان الكتيبة الارمنية المنخرطة فى صفوف الجيش البيزنطى ، لاذت بالفرار من ساحة الوغى . (للتفاصيل انظر

Aristakès, ch, XXV, p. 126.

والجدير بالملاحظة ان الحقد والكره والعداء بين البيزنطيين والارمن قديم قدم العلاقات بينهما . فمن الاقوال البيزنطية المأثورة « ان الصديق الارمنى هو اسوأ الاعداء ، فالأرمنى كاذب وخائن ومحتال » (أنظر :

Vita Euthymii, éd. de Boor, Berlin, 1888, p. 2.

أما الارمن فكانت من أقوالهم المأثورة : « يتميز البيزنطيون بالضعف والخداع » (أنظر :

Lazare de Parb, tr. Langlois, dans Collection des Historiens Arméniens, t. II, ch, 64, p. 344; ch. 66, p. 362; Matthieu d'Édesse, ch, 65, 84, 123.

وأضاف المؤرخ ميخائيل السريانى أن الارمن قالوا عن البيزنطيين « انهم أسوأ الاسياد ، يتسمون بسوء النية ، ويسيطر على عقولهم الجنون بسبب حقدهم على كل الارثوذكس » (أنظر :

Michel le Syrien, t, II, p. 482.

كذلك اتهمهم المؤرخ الارمنى أسوليك بالبخل الشديد فقال : « ليس من المعتاد عند البيزنطيين أن يتسم الانسان بالكرم ، بل

أن كلمة الكرم لم ترد فى قواميس لغتهم » (انظر :

Histoire Universelle, 2e partie, tr. Macler, Paris, 1917, livre IIII, ch. 3, p. 116.

ومن الغريب أيضا ان المسلمين وصفوا الروم بالبخل ، فقـد ذكر ذلك الجاحظ فى « كتاب البخلاء » ويبدو ان مصدر ذلك ، هو ما أشاعه الارمن عنهم . وقد فاق متى الرهاوى فى حقـده وكرهه للبيزنطيين غيره من مؤرخى الارمن حين قال « فقـدت مملكتنـا اصحابها الشرعيين نتيجة عملية الضم الى الامبراطورية البيزنطية المنخورة القوى ، تلك الامة المخنثة الخسيسة الدنيئة .... ولقد اشتهر الروم بسرعة الفرار من ميـادين القتال ، فكانوا أشبه بالراعى الذى يلوذ بالفرار بمجرد ان يلاحظ ذئبا ... » (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. LXXXIV, p. 113.

(٥٧) أشار ميخـائيل السريانى الى حدوث انشقاق بين قادة الجيش البيزنطى وامبراطورهم رومانوس الرابع انظر :

Michel le Syrien, livre XV, ch. III. p. 169.

(٥٨) توج القائد البيزنطى رومانوس ديوجينيس امبراطورا فى ينـاير سنة ١٠٦٨م/٤٦١هـ ، عقب زواجه من الامبراطورة ايدوسـيا Eudocia أرملة الامبراطور قسطنطين دوقاس . واعتبر تربعه على عرش الامبراطورية البيزنطية انتصارا لطبقة الارستقراطية العسكرية وهزيمة للبيروقراطية المدنية . وكان رومانس قائدا بارعا اذ اكسبته انتصاراته فى الحرب ضد البشناك فى البلقـان شهرة واسعة النطاق . (انظر

Rice, Byzantium, London, 1969, pp. 89 et suiv.

لذا قال عنه نقفور برينيوس انه كان ثاملا نتيجـــة انتصـــاراته السابقة التى ملأته بالتكبر والغطرسة (انظر

Bryennios, tr. Gautier, ch. XIII, p. 106; tr. Henri Grégoire, ch. XIII, p. 488.

أما أريستاكيس ، فقد اكتفى بالقول ان رومانوس بذل قصــــارى جهده لحشد كتائب لا حصر لها . وبعد ان راى هذه الجمــــوع الغفيرة تحت امرته « ركبه التكبر واخذته الغطرسة » ، واعتقد ان ملوك الارمن أجمعين لا يمكنهم قهر جيوشه » انظر :

Aristakès, tr, Canard, ch, XXV, p. 125.

(٥٩) تقع « منبج » شمال بلاد الشام ، بين حلب ونهر الفرات . وقد استولى عليهـــا الامبراطور رومانوس سنة ١٠٦٨م/٤٦١هـ . (انظر ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ـــ تحقيق اسماعيل العربى ـــ الجزائر ١٩٨٢ ـــ ص١٥٤ ـــ ١٥٥ ، ابن جبير : رحلة ابن جبير ـــ بيروت ١٩٧٩ ـــ ص٢٢٣ ـــ ٢٢٤ . وعن اســـتيلاء رومانوس على منبج انظر ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٥٦ ، الاصفهـــانى : تواريخ آل ســـلجوق ، ص٣٥ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ١ ، ص٢٧٠ . انظر ايضا

Cahen, La Campagne de Mantzikert d'après les sources Musulmanes, pp. 623-624; Idem, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940, p. 155.

وقد وردت على شكل « مبيتز » «Mempetze» فى مصنف ليـــون دياكر (انظر

Leonis Diaconi Calocensis Historiae Libri Decem et

Liber de Velitatione Bellica Nicephori Auqusti, éd. C.B. Hase dans C.S.H.B., Bonn, 1828, p. 71.

أما برينيوس ، فقد اوردها على شـكل« ممبت » «Mempet» انظر

Bryennios, tr. Gautier, liv. I. ch. XIII, 106; tr, H. Grégoire, I, ch. XIII, p. 488.

ووردت فى المصـادر البيزنطية عادة تحت اسم « هيرابوليس » «Hiérapolis» (انظر

Attaliate, pp. 116 et suiv.; Skylitzès Continué, pp. 131 et suiv. Cf. Lemerle, Le Testament d'Eustathios Boilas (Avril 1059), dans Cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. I, p, 51.

(٦٠) عن ما أصاب منبج أثر حملة رومانوس ، والفزع الذى ساد ربوع حلب وغيرها من المدن نتيجة ذلك يقول ابن كثير : « توجه ملك الروم من القسطنطينية الى الشام فى ثلثمائة الف مقاتل فنزل على منبج ، واحرق القرى ما بين منبج الى ارزن الروم وقتل رجالها ، وسبى نسائهم واولادهم ، وفزع المسلمون بحلب وغيرها فزعا عظيما » . (انظر : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص٩٩) و ما يذكر ان الب ارسلان كان يقـاتل فى حلب عنـدما علم بزحف الجيش البيزنطى ، وكانت معه كتائب قليلة . فصعد نحو الشمال الغربى عن طريق الرها والموصل وخوى (انظر

Cahen, Mantzikert, p. 629.

وفى الموصل ، استقبل قاضى ملاذكرد والهاربين من هذه المدينة الذين اتوا لطلب نجدته (انظر

Matthieu d'Edesse, ch. CIII, p. 167.

فرحل فى الحال مع ما استطاع حشده من جند بلغ أربعة عشر ألفا من الكرد والاكراد وذلك لمجابهة جيوش رومانوس . ولقد أوضح سبط بن الجوزى الذى يحتل مخطوطة « مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » خاصة الفترة من ٤٤٨هـ الى ٤٧٩هـ ، أهمية بالغة وعلى وجه الخصوص سرده التاريخى لظهور الاتراك السلاجقة على مسرح الاحداث وذلك لنقله عن مصدر معاصر مفقود (انظـــر Cahen, L'Iran du Nord-Ouest en Face a l'expansion Seldjukide, d'après une source inedite, dans Turcobyzantina, London, 1974, fasc, VI, p. 1.

أوضح مدى الذعر الذى انتاب السلطان السلجوقى وجيشه فور علمه بزحف رومانوس على رأس جيش جرار . واقتنع العـــاهل السلجوقى انه مقدم على مخاطرة ربما يكون ضحيتها لذا عين ابنه ملك شاه سلطانا على السلاجقة خلفا له ، وبايعه جنده . وفى هذا يقول سبط بن الجوزى : « ... جاء خبر ملك الروم وانه قد تجهز فى العساكر الكثيرة وانه قاصـــد بلاد الاســـلام . وكان السلطان فى قليل من العساكر ، لأنهم عادوا جافلين من الشام ، وتلك الجفلة استهلكت أموالهم ودوابهم ، فطلبـــوا مراكزهم . وبقى السلطان فى اربعة آلاف غلام ، ولم ير الرجوع لجميـــــع العســـاكر ، فتكون هزيمة ... وأمر نظام الملك بجمع العســـاكر وانفاذها اليه . وقال لوجوه عسكره الذين بقوا معه ، أنا صابر صبر المحتسبين وصائر فى هذه الغزاة مصير المخـــاطرين ، فان نصرنى الله فذاك ظنى فى الله تعالى ، وان لم تكن الاخرى فانا اعهـــد اليكم ان تسمعوا لولدى ملك شاه ، وتطيعوه وتقيمـــوه مقامى . فقالوا سمعا وطاعة . وبقى مع العســـكر الذين ذكرنا

ومع كل غلام فرسي يركبه وآخر يجنبه ، وســـار قاصـــدا ملك الروم » . (انظر مرآة الزمان ، جـ ٩ ، ورقتي ٣٧١ — ٣٧٢ — وايضا العيني : عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ .
ونلاحظ ان العيني لخص ما اورده ابن الجوزي في سطرين فقط .

(٦١) عن تعداد جيش رومانوس انظر حاشية رقم ٤٠ .

(٦٢) الجدير بالملاحظة ان برينيوس نقل الثـــلاثة سطور الاخيرة عن بسللوس . قارن Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII,

Psellos, Chronographie مع p. 106, lignes 18-20:

tr. Renauld, Paris, 1926-1928, II, p. 161, lignes, 11-12.

(٦٣) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIII, p. 106, tr. H. Grégoire, I, ch. XIII, p. 488,

(٦٤) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIV, pp. 106-110, tr. H. Grégoire, I, ch. XIV, pp. 488-490.

(٦٥) كان الماجستروس نقفور بازيلاكس Nicephore Basilaskès دوقا على ثيودوسيوبوليس (انظر
Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 154; Zonoras, p. 697.

وقد سقط اسيرا في قبضة الاتراك السلاجقة اثناء معركة ملاذكرد . (انظر :

Attaliate, p. 165; Skylitzès Continué, p. 152.

وثار فيما بعد على ميخائيل السابع (١٠٧١ — ١٠٧٨م) وعلى بوتانياتس (١٠٧٨ — ١٠٨١) (انظر :

Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 154; Zonoras, p. 697. Cf. Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 62, n. 3.

وللتفاصيل المطولة عن ثورته انظر :

Bryennios, tr. Gautier, pp. 216, 284-287, 290-298.

(٦٦) سقطت ملاذكرد فى قبضة الاتراك السلاجقة سنة ١٠٦٨م/ ٤٦١هـ . (للتفاصيل انظر :

Matthieu d'Edesse, ch. LXXVIII, pp. 101-102; Aristakès, tr. Canard, pp. 85-86; tr, Prud'homme, pp. 99-100.

واستعادها رومانوس الرابع حوالى منتصف اغسطس سن عام ١٠٧١م/٤٦٣هـ (للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 151-152; Skylitzès Continué, pp. 144-145; Zonoras, p. 697.

وتقع ملاذكرد فى ارمينية الى الشامل من بحيرة فان **Van** . وقد اختلفت تسميتها فى المصادر الاسلامية اختلافا شديدا . فسبط الجوزى يسميها « مناذكرد » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٦٦ — ٣٦٧) ، وفى ابن العديم وياقوت الحموى « منازكرد » (انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ص٢٦ ، ياقوت : معجم البلدان — بيروت دار الكتاب العربى — جـ٥ ، ص٢٠٢) ، وفى ابن حوقل والفارقى « منازجرد » (انظر ابن حوقل : صورة الارض ، ص٢٩٥ ، تاريخ الفارقى ، ص١٨٦ — ١٩٠) ، وفى ابى الفداء « ملازجرد » (انظر تقويم البلدان ، باريس ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ، ص٣٩٤ — ٣٩٥) ، وفى المقدسى

وابن الاثير «ملاذكرد» (انظر المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم — ليدن ١٢٣٤هـ/١٩٠٦م، ص٣٧٦، ابن الاثير: الكامل في التاريخ، جـ٨ ، ص٦٧) ، وفى القلقشندى « ماذكرد » (انظر صبح الاعشى في صناعة الانشا ، جـ٤ ، ص٣٧٦) ، فى ابن خلدون « ملاذكرد » (انظر العبر — بيروت ١٩٥٨ — جـ٦ ، ص٢٦٥) . وعنهـا قال ياقوت الحموى : « واهله يقولون منازكرد بالكاف ، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد فى ارمينية واهله ارمن وروم ... » .
أما صاحب تقويم البلدان فيقول : « ملازجرد من ارمينية ، وهي بلد صغير ، ، وبناؤها بالحجر الاسود وبها أعين وليس لهـا اشجار » ، ثم ينقل عن ابن حوقل قوله : « وهي بلدة تقـارب خلاط ونشوى فى القدر ، خصبة ، كثيرة الخير ، وهي قريبة من ارزن بينهما يومان او ثلاثة ، وتقع أرزن جنوبيها وشرقيها بدليس وبينهما قريب يوم ونصف » . هذا عن المصادر الاسلامية . أما المصـــادر البيزنطيـــة ، فقـــد اجمعت على تسميتها منتزيكرت Mantzikiert وأحيانا منزيكيرت Manzikiert (انظر Psellos, II, p. 162; Attaliate, p. 166; Zonoras, p. 697.
وقد اجمع المؤرخون الغربيـــون المحدثون على اســـم منتزيكرت Mantzikert انظر :

Vasiliev, History of the Byzantine Empire, U.S.A., 1958, II, p. 356, Brehier, Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969, pp. 231-233; Cahen Mantzikert, pp. 5-67.

أما المصادر الارمنية ، فقد اوردتهـا على شكل « منـــازكرت » Manazkert (انظر

Matthieu d'Edesse, pp. 99-102; 163-167; p. 405, n. 2;
Aristakès, tr. Canard, pp. 6, 75-76; 81-83; 87, 126

ولقد اوضح اريستاكيس سبب اقدام رومانوس على قتال السلاجقة اذ قال ان العاهل البيزنطى وجد أن السلطان السلجوقى كان قد استولى على اجزاء كبيرة من الامبراطورية البيزنطية ، وطرد منها حكامها من قبل بيزنطة ، وعاد ثانية الى بلاده محملا بالغنائم والاسلاب والاسرى . » وكان رومانوس قد اشتهر بالشجاعة ، لذا قرر خوض غمار الحرب ضد السلاجقة حتى لا يظهر بمظهر الخائن ، وحتى لا يترك وراءه ذكرى سيئة » انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125.

(٦٧) اشار متى الرهاوى الى الخطأ الجسيم الذى ارتكبته بيزنطة فى حقها وحق إرمينية والمسيحية ، مظهرا اهمية ارمينية كدولة حاجزة ، وذلك عند حديثه عن تقاعص الروم عن نجدتها اثناء اجتياح الاتراك السلاجقة لارلضيها ، اذ قال : « من يستطيع ان يسرد مآسى الامة الارمنية وآلامها ودموعها ومما عانته من عذاب اليم على يد الاتراك السلاجقة . فالسلاجقة بمثابة حيوانات مفترسة متعطشة لسفك الدماء . ففى لحظة ما ، فقدت مملكتنا اصحابها الشرعيين نتيجة عملية الضم الى الامبراطورية البيزنطية المنخورة القوى ، تلك الامة المخنثة الخسيسة الدنيئة . فلقد قام البيزنطيون بتحطيم عرشنا الملكى ، وهدم ذلك السد الحامى والدرع الواقى لظهرهم والذى كان يشكله جنودنا الشجعان

البواسل . هؤلاء الروم الذين اشتهروا بسرعة الفرار من ميادين القتال ، كانوا اشبه بالراعي الذي يلوذ بالفرار بمجرد أن يلاحظ ذئبا . فلم يهنأ له بال ، ولم يستكينوا الا بعد أن حطموا أومينية ، ذلك الجدار الواقي ، ومزقوا صدور أبنائها الابطال » . (انظر

Matthieu d'Edesse, ch. LXXXIV, p. 113.

والحقيقة ان هَم الامبراطورية البيزنطية الرئيسية سهل للسلاجقة عملية الاستيلاء على أشياء الضعفى ، بل وتهديد الامبراطورية البيزنطية ذاتها ، بعد أن وقف الإسند السلجوقي على حدود الرجل المريض ، يتحين الفرصة المواتية لالتهامه

Bryennios, tr. Gautier, 1, ch. XIV, pp. 106-108; tr. H. Grégoire, p. 488.

(٦٩) أرسل ليون ديابانينوس Leon Diabatenos كسفير من قبل العاهل البيزنطي الى السلطان السلجوقي الب أرسلان اثناء حصاره لحلب . وقد أورد سبط بن الجوزي رواية تكاد تكون متفقة مع رواية برينيوس ، اذ قال : « وردت رسل ملك الروم بزد متبع وبالكرد اليه ويخفل اليه هدنة . . . وضجر السلطان من المقام بحلب ، تكثر راجعا ، فقطع الفرات وهلك أكثر الدواب والجمال ؛ وكان عبوره شبه الهارب ... وعاد رسول الروم مستبشرا الى صاحبه ، فقوى ذلك عزم ملك الروم على أتباعه وحزبه . . . » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧) . ولم يذكر سبط بن الجوزي اسم رسول الروم ، أي اسم ليون ديابانينوس . لكن نستشف من روايته أن الرسول الرومي اعتقد

(١)مكرر

أن السلطان السلجوقى لاذ بالفرار خوفا وهلعا من مواجهة الجيش البيزنطى الجرار، وتأكد له ذلك لجهله بحيل السلاجقة وتكتيكاتهم واستراتيجيتهم الحربية . ولقد أوضح سبط بن الجوزى ذلك صراحة بقوله : « وكان عبوره شبه الهارب » . وبذلك انخدع ديابانيوس، وبالتالى رسم صورة زائفة خاطئة للعاهل البيزنطى أوضح له فيها فرار القائد السلجوقى وما حل من اضطراب وفوضى فى صفوفه . والحقيقة أن تراجع الب ارسلان هذا، الذى هو أقرب الى « شبه الهارب » قد تم تبعا للطريقة التركمانية فى خداع العدو والتغرير به . فالسلاجقة كبدو كانت لديهم خططهم الخاصة فى الزحف، كما كانت لهم مبادئهم المتميزة فى فن السوقية العسكرية . وتنطلق هذه المبادىء من الاعتماد على طبيعة البدو وخفته ومرونته فى الحركة، واستحالة خضوعه لانظمة ضبط وربط محددة، فيما يعطى القائد أمرا عاما يحدد فيه لقواته البدوية نقطة وليلة التواجد، ويندفع البدو زمرا وأفرادا فى اتجاهات مختلفة، وهنا يظن العدو انهم تفرقوا على غير عودة، لكنه لا يدرى أن تفرقهم يفيد قائدهم بتحريره من قضايا التموين، ثم يدمر أراضى العدو، ويضلل قيادته، ويجبرها فى كثير من الاحيان على تحضير خططه لسحق بضعة آلاف من البدو . لكن هذا العدو يدهش فى صباح اليوم التالى، حينما يجد قوات البدو وقد تضاعفت فى الليل الى أضعاف مضاعفة اذا تنهار معنوياته وقواته، ويتم عامل المفاجأة، وهكذا يتحقق النصر .

هذا ما طبقه الب ارسلان عندما التقت قواته لاول مرة بقوات الامبراطور البيزنطى رومانوس . ونظرا لان قوات السلاجقة

كانت من الفرســــــان الرمــاة ، وقـــوات الـــروم كانت من الفرســـــان الثقـــــال مع المشـــاة ، فقـــد قامت خطة السلاجقة على مبدأ فصل المشـــاة عن الفرسان . فالفرسان الثقـــال يفقدون الكثـــير من قيمتهم بدون حراسة من المشاة ، وأيضا لا قيمة كبيرة للمشاة بدون الفرسان الثقـــال . فكان شغل السلاجقة الشاغل هو امطار خيول الفرسان بوابل من سهامهم ، ثم القضاء على الفرسان الثقال والمشاة كل على انفراد ، فكان النصر حليفهم . انظر ســـهيل زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ـــ دار الفكر ١٩٧٥ ـــ ص١٤٧ ـــ ١٤٩ . وعن مهارة السلاجقة وحنكتهم الحربية انظر :

Bryennios, tr. Gautier, I, ch, X, p. 98. Cf. Grousset, H. de l'Arménie, p. 629.

(٧٠) ذكرت المصادر البيزنطية أن قبيل معركة ملاذكرد أرسل السلطان السلجوقي الب ارسلان الى العاهل البيزنطي يعـــرض عليـــه السلام لكن رومانوس رفض مطلب السلطان بغطرسة (انظـــر

Attaliate, pp. 159-160; Skylitzès Continué, pp. 147-148; Zonoras, pp. 699-760.

ويؤخذ على برينيوس تجاهله الاشارة الى ذلك . أما المصـــادر الاسلامية فقد زودتنا بمادة غزيرة عن مبادرة السلام السلجوقية فيذكر سبط بن الجوزي وهو اهم هذه المصـــادر ان رومانوس « قصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرهوة (اخطأ كلود كاهن

وسماها « الزهرة » «Az — Zahra» . انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 631

وقد انزلق الى نفس الخطا كل من رنيه جروسيه (انظر :

Histoire de l'Armenie, p. 628.

Ostgrenze, p. 190 et ibid., n. 3 وهو نجمان انظر

بين خلاط ومناذكرد لخمس بقين من ذى القعدة (١٧ اغسطس ١٠٧١م) . فبعث اليه السلطان بأن يرجع الى بلاده ويتم الصلح الذى توسطه الخليفة فقال : لا أرجع حتى أفعل ببلاد الاسلام ما فعل ببلاد الروم ، وقد انفقت الاموا ل العظيمة ، فكيف أرجع » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٢ — ٣٧٣) . وكانت رواية ابن الجوزى قليلة الاختلا فعن سابقتها ، الا انه يؤخذ عليه الخلط بين السلطان السلجوقى والامبراطور البيزنطى اذ قال : « راسل السلطان ملك الروم بأن يعود الى بلاده واعود أنا وتتم الهدنةبيننا التى توسطنا فيها الخليفة .وكانملكالروم(خطأفى المنتظم وصحة ذلك ، وكان السلطن السلجوقى) قد بعث رسوله يسأل الخليفة أن يتقدم الى السلطان (خطأ ثان ، وصحة ذلك ، يتقدم الى ملك الروم) بالصلح والهدنة . فعاد جواب ملك الروم بانى قد انفقت الاموال الكثيرة ، وجمعت العساكر الكثيرة للوصول الى مثل هذه الحالة ، فاذا ظفرت بها ، فكيف اتركها هيهات لا هدنة الا بالرى (اى انه عزم على اجتياح سلطنة السلاجقة حتى يصل الى قلب دولتهم بالرى)ولارجوع الا بعد أن افعل ببلادالاسلام مثلما

فعل ببــلاد الروم » . (انظــر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) . أما ابن الاثير ، فقد زودنا برواية موجزة ، اذ قال : « فلما تقــارب العسكران ، ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب المهــادنة ، فقال لا هدنة الا بالرى » (انظــر الكامل فى التــاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . كذلك جنح العينى الى الاختصار اذ أورد فى روايته « ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب المهادنة ، فقال له لا هدنة الا بالرى » (انظر عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . الا ان ابن العديم ، زودنا بتبرير غريب يبعث على الدهشة ، عن اسباب سفارة السلام السلجوقية . اذ قال أن هدفها الاساسى التجسس على الجيش البيزنطى . وهذا يتنافى مع كافة المصادر الاخرى من اسلامية وبيزنطية وارمنية . فابن كثير على ســبيل المثال ، أوضح صراحة ان السلطان السلجوقى « خاف من كثرة جند ملك الروم » (انظر البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١) . اضافة الى ذلك ، فان كافة المصادر الاســلامية أجمعت على أن السلطان انتــابه الفزع والاضطراب ودبت الفوضى فى صفوف جيشـه ، بل واعتبر حربه هذا بمثابة مخاطرة لا يعرف عواقبها ، لذا عين ابنه ملك شاه خلفا له . (انظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧١ ـــ ٣٧٢ ، العينى : عقد الجمــان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ . وكذلك حاشية رقم ٦٠) . على اية حال ، قال ابن العديم : « ارسل السلطان رسولا جعله سؤالا وضراعة ومقصوده ان يكشف أمرهم ، ويختبر حالهم ، ويقول لملك الروم: ان كنت ترغب فى الهدنة أتممناها ، وان كنت تزهد فيها ، وكلنا الامر الى الله عزوجل . فظن ملك الروم أنه ارســله عن

ضرورة،فأبى واستكبر واجاب سوف اجيب عن هذا الراى بالرى » (انظر زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧) . وبذلك يؤخذ على رواية ابن العديم مأخذ ثان ، الا وهو اغفاله توسط الخليفة العباسى فى هذه السفارة ، والذى كان على علاقات ودية مع رومانوس . والدليل على ذلك ، ما ذكره سبط بن الجوزى اذ قال : « وكان (ملك الروم) قد اقطع البطارقة البلاد مصر والشام وخراسان والرى والعراق (من هذا يتضح ان هدف رومانوس من حملته الجرارة هذه ليس فقط الاستيلاء على املاك سلطنة السلاجقة ، لكن ايضا غزو الشرق الاسلامى بكامله) واستثنى بغداد وقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح ، فانه صديقنا يعنى الخليفة ... » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٣ — ٣٧٤) . وقد هدف الب ارسلان من توسط الخليفة ، ضمان نجاح مساعى الصلح ، لذلك لم يرسل سفارة من قبله مباشرة ، بسبب العداء المتفجر بينه وبين العاهل البيزنطى . على اية حال ، كان على راس هذه السفارة شخص من كبار عمال الخليفة العباسى ويدعى المهلبان **Al-Muhalbân** وبصحبته احد اتباع الب ارسلان ويدعى سواتكين . **Sawtekin**
ووصلت هذه السفارة الى بلاد الروم يوم الاربعاء ١٧ اغسطس سنة ١٠٧١م/٥ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ ، اى قبل المعركة الفاصلة بيومين (انظر :

Bryennios, tr. Gautier, p. 115, n. 7. Cf. Cahen, Mantzikert. pp. 631-632 et n. 5.

وقد اخطأت الدكتورة اسمت غنيم حين قالت ان السفارة وصلت

يوم الاربعاء اى قبل المعركة الفاصلة بيوم واحد ، علما بأن المعركة الفاصلة هذه حدثت يوم الجمعة كما اوضحت فيما بعد ، وليس يوم الخميس انظر معركة منزيكرت ، ص٢٢٠) . ومما يذكر انه بعد فشل مساعى السلام السلجوقية ، انزعج السلطان لذلك ، وانقطعت المراسلة بينهما (انظر العينى : عقد الجمان ، ورقة ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . فنصحه امامه وفقيهه ان يقاتل الروم يوم الجمعة اذ قال له : « انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره ، واظهاره على سائر الاديان ، وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى يكون فيها الخطباء على المنابر ، فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر ، والدعاء مقرون بالاجابة » . (انظر ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩) . وقد جنح كل من ابن العديم وابن كثير والعينى الى اختصار هذه الرواية . (انظر زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٧ ، البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، عقد الجمان احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٢٦) . والملاحظ ان سبط بن الجوزى ، وجده ابن الجوزى نسبا هذه الرواية الى السلطان السلجوقى نفسه ، واهملا بذلك ذكر اسم امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى . فيقول سبط الجوزى : « واقام السلطان الى نهار الجمعة ، وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال : الى متى نحن فى نقص وهم فى زيادة ، اريد ان اطرح نفسى عليهم فى هذه الساعة التى جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر ، فاما نصرنا عليهم والا مضينا شهداء الى

الجنـــة » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقة ٣٧٣) . اما رواية جده ابن الجوزى فكانت قليلة الاختلاف . اذ قال:«فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع وقال لهم : نحن مع القوم تحت الناقص واريد أن أطرح نفسى عليهم فى هذه الساعة التى يدعى فيهـــا لنا وللمسلمين على المنابر ، فاما ان ابلة الغـــرض ، واما ان امضى شهيدا الى الجنة » (انظر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ — ٢٦٢) .

تعقيبا على الروايات السابقة ، نلاحظ ان العاهل السلجوقى نجح بدهاء خـــارق فى أن يصبغ الصراع السلجوقى البيزنطى بصبغة دينية ، معلنا بين جنوده ان الاسلام فى خطر ، وانه لا سبيل الى انقاذه وانقاذ أتباعه الا بالانتصار على البيزنطيين . لذا دعاهم الى الاستماتة فى القتال ، والجهاد فى سبيل الله ، والسعى وراء طلب الشهادة . وقد زودنا ابن الاثير بوصف بالغ الحيـــوية عن أحوال السلطان السلجوقى وجنوده قبيل اندلاع المعركة الفاصلة الى أن أسر ملك الروم فقال : « لما كانت تلك الســـاعة من يوم الجمعة ، صلى الب ارسلان وبكى ، فبكى الناس لبكائه ، ودعا ودعوا معه . وقال لهم : من اراد الانصراف فلينصرف ، فمـــا هاهنا سلطان يأمر وينهى . والقى القوس والنشـــاب ، واخذ السيف والدبوس ، وعقد ذنب فرسه بيده ، وفعل عسكره مثله ، ولبس البياض وتحنط ، وقال ان قتلت ، فهذا كفنى . وزحف الى الروم وزحفوا اليه ، فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه بالتراب وبكى واكثر الدعاء . ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه ، فحصـــل المسلمون فى وسطهم ، وحجز الغبار بينهم ، فقتل المسلمون فيهم

كيف شاؤوا وانزل الله نصره عليهم ، فانهزم الروم ، وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى واسر ملك الروم » .
(انظر الكامل فى التـاريخ ، جـ٨ ص١١٠ انظـر ايضـا سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٣ — ٣٧٤ ، تاريخ العظيمى ، ص٣٥٩ ، ابن الجـوزى المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١ — ٢٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، العينى : عقد الجمـان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . اما عن موقف الخليفة العباسى ، فقد ارسل الى العاهل السلجوقى رسـالة تشجيع ، اخبره فيها انه اصدر اوامره الى كافة المساجد للدعاء له بالنصر وذلك اثناء صلاة الجمعة (انظر

Cahen, Mantzikert, p. 634.

واذا انتقلنا الى المعسكر البيزنطى ، نلاحظ أن القساوسة اقاموا القداديس ، وقام الجنود بترديد التراتيل الدينية . انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 634.

(٧١) علق اريستاكيس على فكرة التقسيم بقوله : « طرأت على ذهن رومانوس فكرة شاذة ومنافية للمنطق ، الا وهى أن يرسل الجزء الاكبر من جيشه على رأس قادته الى طريق يختلف عن طريقه . اما هو ، فعلى رأس جيش هام ، اتخذ طريق الشرق » . انظر :
Aristakès, tr. Canaard, ch. XXV, p. 125.

(٧٢) عن خلاط قال ياقوت : « خلاط ، فى الاقليم الخامس ، وهى من فتوح عياض بن غنم ، سار من الجزيرة اليها ، فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ورجع عياض الى الجزيرة » (انظـر ايضـا فايز نجيب اسكندر : الفتوحات العربية لارمينية — دراسـة

تاريخية مع عرض وتحليل ودراسة مقارنة للمصادر والمراجع — اولا : حملة العرب الاولى على ارمينية سنة ١٩هـ/٦٤٠م — مجلة سيرتا العدد ٨/٩ — الجزائر ١٩٨٣ ، ص٣٨) . وهى قصبة ارمينية الوسطى ، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة . وببردها فى الشتاء يضرب المثل . ولها البحيرة التى ليس لها فى الدنيا نظير ، يجلب منها السمك المعروف بالطرنخ الى سائر البلاد ، ولقد رايت منه ببلخ ، وبلغنى انه يكون بغزنة . وبين الموضعين مسيرة اربعة اشهر ، وهى من عجائب الدنيا ، قال ابن الكلبى : من عجائب الدنيا بحيرة خلاط ، فانها عشرة اشهر لا يكون فيها ضفدع ولاسرطان ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين من كل سنة » (انظر معجم البلدان ، ج٢ ص٣٨٠ — ٣٨١) . اما ابن حوقل ، فلقد أوضح لنا اهميتها الاقتصادية وشراسة اخلاق اهلها اذ قال : « اهلها ذوو مال ويسار ، وبها اليوم المتاجر والاسواق الجادة ومقصد التجار والغالب على اخلاق اهلها الشراسة وبغضة الغريب . ولا تشبه دبيل فى العظم والكبر منها شىء ، وهى بأجمعها خصبة عامرة كثيرة الخير ... » (انظر صورة الارض ، ص٢٩٥) . اما القزوينى فقد اضاف قائلا : « ... واهلها مسلمون ونصارى ، وكلام اهلها العجمية والارمنية والتركية ذات سور حصين ... اما اهل خلاط فالفسق عندهم ظاهر ، وصناعها يعملون اقفالا ما فى شىء من البلاد مثلها » . (انظر آثار البلاد واخبار العباد — دار صادر بيروت — بدون تاريخ ، ص٥٢٤ . وللتفاصيل انظر : تقويم البلدان ، ص٣٩٤ — ٣٩٥ ؛ ابن الفقيه الهمذانى ، مختصر كتاب البلدان — مطبعة بريل

١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ـ ص٢٩٥ ، البغدادى : مراصد الاطلاع ، جا ، ص٤٧٦ ، القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ج٤ ، ص٣٥٥) . وتقع خلاط على الشاطىء الشمالى لبحيرة فان ، جنوب غرب ملاذكرد . (انظر :

Bryennios, tr. Gautier, 1, ch. XIV, p. 108, n. 2; Constantine Porphorigenitus, Vol. II, Commentary, pp. 167-168. Cf. Canard, Histoire de la Dynastie des Hamdanides, Paris, 1953, p. 184.

ولقد اوضح اطالياطس ، المؤرخ البيزنطى الذى شارك فى معركة ملاذكرد ، دوافع ارسال قسم من الجيش البيزنطى الى خلاط قائلا : « ارسل الامبراطور البيزنطى الى خلاط جيشا من المرتزقة الاتراك سكيث **Scythes** لجمع الغنائم والاسلاب والمنهوبات . ثم ارسل اليه ثمانية عناصر جرمانية تسمى فرنج **Francs** بقيادة زعيمهم روسل (المقصود روسل بايللول **Roussel de Bailleul**) . اما الامبراطور البيزنطى ، فقد انسحب الى الخلف مع بقية جيشه بدلا من الانضمام الى الجيوش الزاحفة لمهاجمة خلاط . وكانت دوافع ذلك انه فى العام الماضى تمكن السلطان السلجوقى من الاستيلاء على ملاذكرد ، وأقام بها حامية قوية ، لذا قرر الامبراطور البيزنطى أن يهاجم ملاذكرد ويستعيدها من قبضة السلاجقة ، مما استدعى مهاجمة خلاط القريبة منها . وقد اعتقد العاهل البيزنطى ان ملاذكرد ليست على درجة من الحصانة بحيث تستطيع تحمل هجوم بيزنطى ، لذا سلخ من جيشه كتيبة ثانية على درجة كبيرة من الاهمية ، واسند

قيادتها الى الماجستروس جوزيف ترخانيوتس ، وانضمت الى الكتيبة الثانية هذه كتيبة من المشاة هائلة العدد . وامتاز جيش القائد ترخانيوتس بأن ضم فى صفوفه اشهر المقاتلين الذين لا يقهرون — على حد قول اطالياطس — بل فاق عددهم عدد الجيوش التى كانت لاتزال تحت امرة الامبراطور البيزنطى » . انظر :

Attaliate, pp. 148-149.

(٧٣) عن جوزيف ترخانيوتس **Joseph Tarchaniotes** انظر حاشية رقم ٥١ . ومما يذكر ان رومانوس ارسل نجدة لانقاذ جيش روسل بايللول أثناء زحفه على خلاط ، تمثلت هذه النجدة فى ارسال كتيبة ثانية قوامها ثلاثون الف جندى من اشهر المشاة والفرسان الروم بقيادة الكرجى جوزيف ترخانيوتس . ووصلت هذه القوات امام خلاط ، بينما كان العاهل البيزنطى يحاصر ملاذكرد . (انظر :

Matthieu d'Edesse, ch, CIII, p. 167; Attaliate, p. 149; Skylitzès Continué, p. 144.

وهكذا ، بالغ رومانوس فى تشتيت قواته . فقد أرسل ثلاثين الفا بقيادة ترخانيوتس الى خلاط لنجدة قوات روسل ، كذلك ارسل اثنى عشر الفا الى بلاد الكرج والابخاز للتزود بالمؤن على حد قول كلود كاهن (انظر : **Mantzikert, p. 631.**) ، وربما لتلقين بجراط الرابع درسا لن ينساه لانفصاله عن التحالف مع بيزنطة على حد قول بروسيه . (انظر :

Brosset, Histoire de la Georgie, 1, p. 335, n. 4.

ومما لاشك فيه أيضا انه ارسل كتائب اخرى الى أماكن متفرقة . انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 631.

(٧٤) انتقد كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وبسللوس التكتيكات الحربية اتى استخدمها الامبراطور البيزنطى فى موقعة ملاذكرد . وانتقدوا على وجه الخصــوص تقسيمه لجيوشه ، وخوض غمار الحرب فى تلك المعركة الفاصلة بجيوش ضئيلة عديمة الخبرة بفنون القتال . فعلى سبيل المثل ، لام بسللوس عدوه رومانوس ووصفه بأنه جاهل لفنون القتال . انظر :

Psllos, II, p. 162, Attaliate, pp. 149-150; Skylitzès Continué, pp. 144-145.

(٧٥) كان ذلك صباح يوم الثلاثاء السادس عشر من اغسطس ســنة ١٠٧١م/٤ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . وقد زودنا سبط بن الجوزى باخبار هذه المعركة التى انتهت بانتصار الاتراك السلاجقة واسر مقــدم الروم وجذع انفه ، اذ قال : « وســـار (أى السلطان السلجوقى) قاصدا ملك الروم وارســـل احد الحجـــاب (فى ابن العديم صندق التركى) الذين كانوا معه فى جماعة من الغلمان مقدمة له . فصادف عند خلاط صليبا يحبه مقدم الروم فى عشـــرة آلاف ، فحاربهم فنصر عليهم واسر المقدم وكان من الروس ، واخذ من الصليب وبعث الى السلطان بذلك ، فاستبشر وقال هذا امارة النصر . وارسل بالصليب الى همدان ، وجذع أنف المقدم ، ثم أمر بأن يحمل الى الخليفة » . (انظـــر مرآة الزمان ، ج٩ ، ورقة ٣٧٢) . واختلفت رواية العينى عن رواية سبط بن الجـــوزى

اختلافا طفيفا اذ قال : « سار (اى السلطان السلجوقى) فلما قارب العدو وجعل له مقدمة ، فصادفت مقدمة ملك الروم عند خلاط . وهو مقدم الروسية فى نحو خمسة عشرة الف (فى سبط بن الجوزى وابن الاثير عشرة آلاف) من الروم . فاقتتلوا ، فانهزمت الروسية ، وقتل مقدمهم (فى كافة المصادر الاسلامية ، اسر وتم جذع انفه) . وانفذ السلب الى نظام الملك ، وامره ان يرسله الى بغداد » (انظر عقد الجمان ، ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٥ .

وللتفاصيل انظر ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١٠٩ . ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) . وقد انفرد ابن الجوزى بوصف هذا الصليب ، اذ قال : « وكان خشبا وعليه فضة واقطاع من الفيروز وانجيلا كان فى سفط من فضة » (انظر المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٦١) .

وكان من نتائج هذه المعركة ان نجح صندق التركى فى انقاذ خلاط من السقوط فى قبضة ترخانيوتس . اما القائد البيزنطى ، فقد لاذ بالفرار الى ملطية . اما العاهل السلجوقى ، فبعد أن نجح فى انقاذ خلاط ، زحف الى ملاذكرد . وفى نفس الوقت كان رومانوس قد تركها ليسير الى خلاط . وبينما كان الب ارسلان على علم باقتراب عدوه ، كان رومانوس لايزال يعتقد أن السلطان السلجوقى لازال على مسافة بعيدة جدا عن جيوشه (انظر : Grousset, Histoire de L'Arménie, p. 627; Cahen, Manzikert, pp. 630-631.

والملاحظ ان الدكتورة اسمت قلبت الاحداث راسا على عقب (انظر معركة منزيكرت ، ص٢١٩) وتناقض تسلسل الاحداث

التاريخية التى اوردتها مع ما زودنا به برينيوس وكافة المصادر البيزنطية الاخرى . فعلى سبيل المثال ، ذكرت انه تم القبض على بازيلاكس ، وامر السلطان بجذع انفه . الا ان بازيلاكس قبض عليه فى معركة تالية كما أوضح ذلك برينيوس والمصادر البيزنطية الاخرى . اضافة الى ذلك ، يذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وزونوراس أن السلطان السلجوقى عامل اسيره بازيلاكس احسن معاملة . اذن ، لم يجدع انفه كما ادعت الدكتورة اسمت . اما الذى جدعت انفه ، فهو مقدم الروس كما اشارت الى ذلك المصادر الاسلامية السابق ذكرها . (انظر ايضا :

Grousset, Arménie, p. 628; Cahen, Mantzikert, p. 628.

كذلك اخطأ منى الرهاوى حين قال أن بازيلاكس قتل اثر هذه المعركة . وسندحض هذا القول فيما بعد . انظر حاشية رقم ٨٠. انظر ايضا :

Matthieu d'Edesse, ch, CIII, pp. 168-169.

(٧٦) ذكر كل من اطالياطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز أن رومانوس لم يقتنع بمبررات وتفسيرات بازيلاكس وشك فى أن مرتكب هذه المذبحة هو احد قادة السلطان السلجوقى . انظر :
Attaliate, pp. 153-154;
Skylitzès Continué, p. 145.

(٧٧) Bryennios, tr. Gautier, I ch. XIV, p. 108; tr. H. Grégoire, p. 289.

(٧٨) الملاحظ أن برينيوس نقل الاسطر الستة السابقة عن بسللوس .

قارن

Nicephore Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XIV, p. 109, ligne 24 et p. 111. lignes de 1 a 5

مع

Psellos, II, p. 161.

(٧٩) بدراسة تحليلية مقــارنة لرواية برينيـــوس مع رواية كل من اطاليطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز نلاحظ أن برينيوس زيف الاحداث ، وشابت حول روايته الشبهات ، اذ انحاز الى جانب جده القائد نقفور برينيوس ، وحاول جاهدا أن يبعدعنهكل الشبهات التى تسيء الى سـمعته كقائد عسكرى عظيم فاستنادا الى رواية كل من اطاليطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز يمكن تصحيح رواية برينيوس كالآتى : « أرسل القائد نقفور برينيوس لقتال كتيبة سلجوقية بقيادة صندق ، لكنه لم يوفق فى عمليــاته الحربية ، فمنى جيشه بهزيمة ساحقة وجرح هو أيضا أثنــاء القتال ، فأسرع بطلب نجدات من العاهل البيزنطى ، فأرســل اليه نقفور بازيلاكس وبصحبته كتيبة بيزنطية كبيرة . فانقض بازيلاكس على الاتراك السلاجقة انقضاضا ، ونجح فى اجبارهم على الفرار . الا أن برينيوس سلك مسلكا سلبيا ، اذ لم يزحف بجيشه فى ركاب جيش بازيلاكس ليقاتلا معا الاتراك السلاجقة . وبذلك تخاذل عن قتال الاعداء السلاجقة ، ونجدة بازيلاكس ، رفيقه فى السلاح » (انظر :

Attaliate, p. 154-155; Skylitzès Continué, pp. 145-146.

(٨٠) سقط بازيلاكس من اعلى فرسه بالقــرب من معسكر الاعداء ،

فأسره الاتراك السلاجقة ، واقتيد الى السلطان الب ارسلان .
ولقد اجمعت المصادر البيزنطيـة ان العاهل السلجوقى عامله معاملة حسنة ، كما عامل فيما بعـد اسيره الامبراطور البيزنطى رومانوس (انظر :

Attaliate, p. 155, Skylitzès Continué, p. 146; âonoras, p; 698.

انظر ايضا حاشية رقم ٧٥) . ويؤخذ على متى الرهاوى قوله ان بازيلاكس لقى حتفه اثناء هذه المعركة (انظر :

Matthieu d'Edesse, pp. 168-169.

انظر أيضا حاشية رقم ٧٥) . وقد اخطـأ في قوله هذا ، اذ ان بازيلاكس . ثار فيما بعد على الامبراطور ميخائيل السابع (لمزيد من التفاصيل انظر :

Bryennios, tr. Gautier, IV, ch. XVIII, p. 284; ch. XIX, p. 286 ch, XXIII, p. 290; ch, XXIV, pp. 290-292; ch. XXVI, pp. 292-294; Ch. XXVII, pp. 284-286; ch, XXVIII, p. 296; Attaliate, pp. 298-299; Skylitzès Continué, p. 182; Zonoras, p. 723; Alexiade, I, p. 31 et suiv, Cf. Lemerle, Le Typikon de Gregoire Pakourianos, p. 167; Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 62, n. 3.

(٨١) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XV, pp. 110-112; tr. H. Grégoire, pp. 490-491.

(٨٢) تعمد برينيوس خلط الاحداث راسا على عقب ، اذ أن بازيلاكس هو الذي ذهب لنجدة برينيوس وليس العكس . (انظر حاشية

رقم ٤٧) . من هذا تتضح اهمية الدراسة المقارنة بين مصنف برينيوس وبين غيره من المصادر ، فالهدف من ذلك الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة ، البعيدة عن الانحياز والضغوط والاهواء الشخصية . وهى غاية سامية ينبغى ان يتحلى بها كل باحث .

(٨٣) تذكر المصادر البيزنطية ان الامبراطور البيزنطى لم يسارع بارسال بازيلاكس وجيشه لنجدة برينيوس ، بل تأخر فى نجدته .
Attaliate, pp. 154-155; Skylitzès Continué, pp. 145-146; Zonoras. pp. 697-198.

(٨٤) **Bryennios, tr. Gautier, ch. XV, pp. 110-111; tr, H. Grégoire, p. 490.**

(٨٥) تذكر المصادر البيزنطية انه فى نفس يوم أسر بازيلاكس ، خرج الامبراطور البيزنطى من معسكره وبصحبته كل جيوشه ، واستقر على احدى التلال منتظرا هجوم الاتراك السلاجقة ، وبمجىء المساء ، لم يظهر السلاجقة على مسرح القتال ، فاعاد رومانوس جيوشه الى معسكره . لكن ما لبث ان قام السلاجقة بهجمات مفاجئة خلال ليل بلا قمر ، فى حين ان البيزنطيين ظلوا تحت السلاح . الا انهم فشلوا فى تمييز العدو من الصديق بسبب الظلام الدامس . انظر :
Attaliate, pp. 155-157; Skylitzès Continué, p. 146; Zonoras, pp. 698-699.

(٨٦) **Bryennios, tr. Gautier, ch, XV, pp. 112-113; tr. H. Grégoire, pp. 490-491.**

(٨٧) Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVI, pp. 112-115; tr. H. Grégoire, p. 491.

(٨٨) تذكر المصادر البيزنطية انه فى الصباح الباكر من يوم معـركة ملاذكرد انسحبت كتيبة « الغــز » بقيادة البشناك « طاميس » «Tamis» من صفوف الجيش البيزنطى ، وانضمت الى صفوف ابناء عمومتهم الاتراك السلاجقة ، مما سبب ارتباكا بالغـا فى صفوف الجيش البيزنطى . وكان لهذه الخيانة آثارها الوخيمـة على معنويات ونفسية العاهل البيزنطى ، فشك فى ولاء باقى عناصر الجيش من المرتزقة (للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 156-158; Skylitzès continué, p. 147; Zonoras, p. 699.

والملاحظ ان برينيوس مر على هذه الحادثة مر الكرام ، ربما لقلة عدد الغز . وقد اخطأ كل من اريستاكيس وجروسيه حين قالا ان الغز انضموا الى صفوف الاتراك السلاجقة اثناء المعركة وليس قبلها (انظر :

Aristakes, tr. Canard, ch. XXV, p. 126. Cf. Grousset, Histoire de l'Arménie, p. 628.

اما كلود كاهن ، فقد ذكر ان خيانة الغز تمت فى ليلة الاربعـاء او الخميس (انظر :

Cahen, Mantzikert, p. 633.

فى حين ان الدكتورة اسمت ذكرت ان انسحاب الغز تم قبل بداية المعركة بساعات فى ليلة الجمعة عند منتصف الليل تماما . واوردت نصا باللغة اللاتينية نقلا عن زونوراس لم تترجمه الى العربية ، علما بأن النص الذى استندت اليه يتفق مع ما اورده فزونوراس

يقول :

«Hoc Modo nocte illa exacta, mane uzorum quaedam cohors ad Turcos tranfugit»

وترجمته « وبهذه الطريقة ، وفي الصباح الباكر من هذه الليلة ، لاذت كتيبة من الغـز Uzorum بالفـرار ، وانضمت الى الاتراك » . انظر Zonoras, p. 699. انظر ايضا اسمت غنيم : معركة منزيكرت في ضوء وثائق بسيللوس ، ص٢٢٤) .

ورغم ان كلود كاهن خصص مقالته عن « معـركة منزيكرت في ضوء المصادر الاسلامية » الا انه يؤخذ عليه قوله « يبدو أن الغز كانوا قلة ضئيلة جـدا حتى ان لا احد من مؤرخي المسلمين ذكر عددهم » . الا ان ابن الجوزى ذكر ذلك صراحة حين قال « وكان معه (اى ملك الروم) خمسة عشر الف من الغز الذين من وراء القسطنطينية » . (انظر : المنتظم ، ج٨ ، ص٢٦١) . ويبدو أن العيني نقل عن ابن الجوزى ، اذ اورد في مخطوطه « من الغـز الذين وراء القسطنطينية خمسة عشر الفا » . (انظـر عقـد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٤) . وعلى اية حال ، لم تكن دوافع هذه الخيانة استجابة الغز لنداء رابطة الدم فحسب كما اوردت غالبية المراجع ، بل ان هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن العامل الاول ، منها ان هؤلاء المرتزقة لم يتقاضوا اجورهم المتـأخرة . والاهم من هذا وذاك ما ذكره جيـوم الابولى Guillaume d'Apulie

الذي كتب مصدره بعد حوالي ثلاثين عاما من معركة ملاذ كرد ، ذكر ان الجنود المرتزقة استولوا على ما في المعسكر البيزنطي من

اموال ، ولاذوا بالفرار ، منضمين بطبيعة الحال الى صفوف اعداء الامبراطورية البيزنطية . (انظر :

Les Gesta Roberti wiscardi de Guillaume d'Apulie, tr. M. Mathieu, Byzantion, t. XX, 1950, p. 91, vers 42.

ولقد برع المؤرخ الارمني اريستاكيس في تصوير رد فعل هذه الخيانة على المعسكر البيزنطي والسلجوقي ، وقلبها لموازين القوى رأسا على عقب ، اذ قال : « انضمت الى صفوف الاتراك السلاجقة كتيبة بيزنطية هامة ، فضاقت بذلك الامبراطور البيزنطي ، وعمت الفوضى والارتباك في صفوف جيشه . وبذلك دب الخوف والذعر والشلل في حركته وتحركاته » (انظر :

Aristakès, tr. Canard, p. 126

في حين ان الاتراك السلاجقة ازدادوا شجاعة « فكانوا ينقضون على جيوش الروم بضراوة لا نظير لها » . انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 126

(٨٩) تذكر المصادر البيزنطية ان الامبراطور البيزنطي كان قد سبق ان ارسل لحصار خلاط كل من روسل بايللول ومعه قوات من البشناك والفرنج **Francs** وكذلك جوزيف ترخانيوتس وبصحبته بجيش هائل العدد . لكن القائدين ، وخاصة جوزيف ترخانيوتس عبرا بلاد الجزيرة ، وانسحبا الى الاراضي البيزنطية وذلك فور علمهما بأن السلطان السلجوقي سيهاجم الامبراطور البيزنطي . ويذكر اطاليطس — المؤرخ المنخرط في صفوف الجيش البيزنطي — ان رومانوس انتظر بقلق ولهفة وصول

الامدادات الاتيــة من خلاط ، وذلك لمدة ثلاثة ايام ، لكن خابت آماله . (انظر :

Attaliate, p. 158; Skylitzes Continué, p. 147; Zonoras, p. 699.

ويؤخذ على جروسيه قوله ان القائد نقفــور برينيوس (وليس جوزيف ترخانيوتس) وروســل بايللول لاذا بالفــرار الى بلاد الجزيرة . (انظر :

Grousset, Arménie, p. 628.

ويؤخذ على الدكتورة اسمت قولهــا ان قوات روســل بايللول انتصرت على الفرنج دون البشناك . وقولها ايضــا ان قوات روسل بايللول رفضت الانسحاب من امام خلاط . (انظر معركة منزيكرت ص٢٥٥) .

(٩٠) اختلف برينيوس فى تحليله هذا مع كل من اطالياطس وبسللوس . فبينما يرى برينيوس ان المستشارين المتملقين كانوا سببا فى كارثة ملاذكــرد ، يرى كل من اطاليــاطس وبسللوس أن سبب هذه المصيبة التى حلت بدولة الروم هو جهل رومانوس بفنون الحرب والقتال ، مستندين فى ذلك الى الخطأ الجسيم الذى ارتكبه عندما قام بتقسيم جيشه وتشتيت الكثير منه هنا وهناك بدلا من خوض غمار الحرب صفا واحدا متراصا . (انظر :

Attaliate, p. 148; Psellos, II, pp. 161-162.

الا ان ازيستاكيس زودنا برأى شديد الغرابة ، ينبغى تقبله بحذر ، ومفاده ان العاهل البيزنطى أراد الانفراد بالنصر دون القسم الثانى من جيشه ، اذ قال فى مصنفه " وصل الامبراطور البيزنطى الى ثيودوسيوبوليس ، حيث تفقد تشكيلات فرسانه .

ولم ينتظر انضمام بقية جيشه الى صفوفه ، بل لم يسمح لكتائبه بالتوقف والراحة . فاذا حدث ذلك ، لكان جيشه قد ازداد شجاعة ، ولخاض أحسن المعارك الحربية . فكثرته العددية كان بامكانها أن تبعث الرعب والفزع في قلوب الأعداء السلاجقة » . (انظر :

Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 125; Guillaume d'Apulie, pp. 90-91.

لكن الامبراطور البيزنطى « طمع فى الانفراد بالنصر دون القسم الثانى من جيشه » . (انظر :

Aristakes, ch. XXV, p. 126.

ثم ينتقل بنا أريستاكيس بمهارة المؤرخ البارع الى المعسكر السلجوقى ، وموقف السلطان ألب ارسلان من هذه التطورات الحربية ، اذ يقول : « كان من نتيجة ذلك ، ان دب القلق فى معسكر السلطان السلجوقى ، الذى بدوره قرر خوض غمار القتال فى الحال ، خوفا من وصول بقية كتائب الجيش البيزنطى وانضمامها الى جيش الامبراطورية . فأصدر العاهل السلجوقى أوامره الى جيشه بالاستعداد للهجوم . ازاء ذلك ، اضطر الجيش البيزنطى وعلى غير ارادته ، الى الاستعداد لقتال السلاجقة » . انظر :

Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 126

Bryennios, tr. Gautier, I, XVI, pp. 112-113; tr. H. Grégoire, p. 491.

(٣٢) أضاف متى الرهاوى أن قائدين أرمنيين الأول يدعى « خطب »

Vasilak «فازيلاك» والثاني يدعى Khatap
قد لقيا حتفهما في هذه المعركة . (انظر
Matthieu d'Edesse, CIII, pp. 168-169,
الا ان المصادر البيزنطية ذكرت ان «فازيلاك» اسر ولم يقتل.
انظر
Skylitzès Continué, p. 146.

(٩٣) بعد كارثة ملاذكرد ، ظل ثيودور الياتس Théodore Alyatès
مخلصا لسيده الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ، وانتهى
به الامر بالقبض عليه سنة ١٠٧٢م/٤٦٤هـ ، وتم سمل عينيه
باوامر من قسطنطين دوقاس . لمزيد من التفاصيل انظر :
Attaliate, pp. 170-172; Zonoras, p. 705.
Skylitzès Continué, p. 153; Bryennios, tr, H. Grégoire, p. 491, n. 2.

(٩٤) كان الخطأ الاول لكل من جروسيه وكلود كاهن ان اسندا قيادة
المؤخرة المشكلة من القوات الاحتياطية الى اندرونيك ابن العاهل
البيزنطي على حد زعمهما . وصحة ذلك ، ان قيادة المؤخرة
اسندت الى اندرونيك دوقاس ، وهو الابن الاكبر للقيصر حنا
دوقاس ، وابن عم امبراطور المستقبل ميخائيل دوقاس .
Bryennios, tr, H. Grégoire, p. 491. n. 3. Cf. Polemis, The Doukai, A Contribution to the Byzantine Prosography, Londres, 1968, pp. 55-59; Lemerle, Byzance au Tournant de son destin, dans Cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. V, p. 296.
اما الخطأ الثاني لكليهما ، هو ذكرهما ان ميخائيل دوقاس قائد

القوات الاحتياطية ، أشاع بين صفوف الجند خبر وفاة الامبراطور البيزنطى رومانوس . وصحة ذلك ان الذى قام ببث هذا الخبر هو أندرونيك دوقاس وليس ميخائيل دوقاس (انظر :

Cahen, Mantzikert, pp. 634-635; Grousset, Arménie, p. 628.

وللتأكد من صحة ذلك انظر :

Attaliate, pp. 161-162; Skylitzès Continué, pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

اما الدكتورة اسمت ، فقد أغفلت فى مقالها عن ملاذكرد تقسيمات الجيش البيزنطى الى مقـدمة وجنـاح أيسر ، وايمن ومؤخرة وقلب . بل اخطأت حين أسـندت قيادة الفرق البيزنطية الى أندرونيـك دوقاس الذى لم يكن الا قائدا للمؤخرة المشكلة من القوات الاحتياطية . ومن عجيب الأمور أنها استندت فى قولها هذا الى كل من اطاليالطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز وزونوراس الذين ذكروا صراحة ان اندرونيك دوقاس لم يكن الا قائدا لمؤخرة الجيش البيزنطى . (انظـر الدكتـورة اسمت غنيم : معـركة منزيكرت ، ص٢٢٥ . وقارنه مع

Attaliate, p. 157; Skylitzès Continué, pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

(١٥) Bryennios, tr. Gautier, ch. XVI, pp. 114-115; tr. H. Grégoire, p. 491. Cf Lot, L'Art Militaire et les Armées au Moyen Age, Paris, 1946, I, pp. 71-72.

والجـدير بالذكر ان متى الرهاوى زودنا بتوزيع العنـاصر على التشكيلات الحربية ، اذ ذكر ان الامبراطور البيزنطى وضع قبائل

الغز فى الجناح الايمن ، اى تحت قيادة الياتس ، وقبائل البشناك فى الجناح الايسر ، اى تحت قيادة نقفور بريينيوس . اما بقيـــة العناصر ، فقد وزعت على الوسط والمقدمة والمؤخرة . ويواصل متى الرهاوى روايته قائلا ان الغز والبشناك تخليا عن مواقعهما وانضما الى الاتراك السلاجقة (انظر :

Matthieu d'Edesse, CIII, p. 169.

وبذلك حرم الجيش البيزنطى من رماة السهام المهرة من راكبى الخيول . فتعرض قلب الجيش بقيادة رومانوس للاندحار امام وابل سهام الاتراك السلاجقة . اضف الى ذلك ان هذه الخيانة سببت بلبلة كبيرة فى صفوف الجيش البيزنطى ، وزاد الطين بلة ، سريان اشاعة اطلقها اندرونيك دوقاس — عدو رومانوس اللدود مفادها ان العاهل البيزنطى لقى حتفه فى ساحة القتال . وبذلك اصبح الجيش البيزنطى بين شقى الرحى

(٩٦) Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 114-119 ; tr. H. Grégoire, pp. 492-493.

(٩٧) هناك اختلاف فى ترجمة هذه الفقرة بين هنرى جريجـــوار وبون جوتييه . وتدصحح جوتييه فى تحقيقه الثانى لمصنف نقفور بريينيوس الترجمة الخاطئة لجريجوار . وقد اخذنا بترجمة جوتييه . انظر :

Bryennios, tr. Gautier, I, ch. XVII, pp. 114 et 114-115, n. 6.

ومقارنة مع

Bryennios, tr. H. Grégoire, p. 492.

(٩٨) اجمعت المصادر البيزنطية انه اثناء اعداد الب ارسلان لخطـــة

قتال البيزنطيين ، قام بارسال سفارة سلام برئاسة مبعوث من قبل الخليفة العباسى . لكن رومانوس رفض مقترحات السلام بغطرسة كما سبق أن أوضحنا . انظر :

Attaliate, pp. 159-160; Skylitzès Continué, pp. 147-148; Zonoras, pp. 699-700.

انظر أيضا حاشية رقم ٧٠ .

(٩٩) انفرد بريينيوس دون غيره من المصادر بذكر اسم هذا القائد التركى

(١٠٠) عن أحوال المعسكر البيزنطى آنذاك ، والاخطار المحدقة ، وحالة الرعب المتفشية بين الجند ، زودنا المؤرخ البيزنطى اطالياطس الذى شارك فى نسج خيوط هزيمة ملاذكرد ، برواية حيوية بالغة الاهمية . اذ قال : « اطلق السلاجقة الصيحات المدوية ، وقلبوا بحساسرة السكيث Scythes من الخلف ، وكان هؤلاء خارج المعسكر البيزنطى . ثم انقضوا على بائعى المؤن فانتشر الرعب والفزع فى قلوب الجميع ، بسبب صيحاتهم المدوية ، وسهامهم المتلاحقة المتطايرة . وراح ضحية هجومهم هذا اعداد هائلة من القتلى . أما الذين واجهوا هذا الهجوم الشرس ، فقد سيطر عليهم الخوف والهلع ، ولاذوا بالفرار باحثين عن ملجأ لهم فى أعماق المعسكر البيزنطى . وكان من الطبيعى نتيجة اندفاعهم الواحد تلو الآخر كما يحدث عادة للجند المطاردين من قبل الاعداء ، أن يؤثروا تأثيرا بالغا على الروح المعنوية للجنود المتواجدين وراء الاسوار . فاعتقد هؤلاء أن السلاجقة اجتاحوا المعسكر ، اذ تسللوا اليه فى ركاب الجنود الفارين ، وأنهم

استولوا عليه بكامله ، بما فيه من أمتعة ، حقا ، كان ليلادامسا لم يظهر له قمر ، وكان من الصعب التمييز بين المطاردين والفارين . وبذلك ضعف التفريق بين العدو والصديق . وينبغي أن لا يغرب عن أذهاننا أن المرتزقة السكيث كانوا يشبهون تماما الاتراك السلاجقة . وبذلك استحال معرفة هوية المهاجمين للتشابه الكبير بين السكيث والسلاجقة ، وهكذا ، ساد الرعب الذى لا مثيل له من قبل ربوع المعسكر وزاد من هذا الرعب سماع أصوات كريهة ومقلقة ، وصيحات مدوية مبهمة . وبدا كل شيء صاخبا ومحفوفا بأخطار الموت .... ولكن على الرغم من ان البيزنطيين كانوا فى حالة لا يحسدون عليها نتيجة الاخطار المحدقة بهم الا ان السلاجقة لم يتمكنوا من التسلل الى داخل أسوار المعسكر ، اذ ان التوقيت كان غير مناسب للقيام بمثل هذا العمل خاصة فى الظلام الدامس لذا اتخذوا جانب الحذر ، واتفق الجميع على التزام مكانه وعدم التقهقر الى الخلف . لكن طوال الليل ، استخدم السلاجقة سلاح الحرب النفسية ضد البيزنطيين ، اذ احاطوا المعسكر البيزنطى بأصواتهم المدوية ، وأخذوا يطوفون حوله وهم ممتطون صهوة خيولهم . ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يطلقون سهامهم فى كل اتجاه . ولقد أفقدت صيحاتهم المدوية الجيش البيزنطى حاسة السمع ، وأحاطوه بالرعب والهلع ، حتى ان الجنود لم يغمض لهم جفن طوال الليل ، اذ ظلوا فى يقظة وحذر نتيجة الاخطار المحدقة بهم . وبذلك ساد الارق والقلق والخوف والرعب ربوع المعسكر البيزنطى ، وكانت هذه الاخطار بمثابة سيف مسلط مستعد للذبح فى أى لحظة (أنظر :

Attaliate, pp. 156-157.

ولقد نوه ابن العديم فى لحة خاطفة عما ساد المعسكر البيزنطى

من تلق بقوله : « وباتوا ليلتهم فى اعظم تلق واشده » انظر : زبدة الحلب جـ٢ ، ص٣٦ .

(١٠١) زودنا جيـوم الابولى Guillaume d'Apulie فى مصـدره « اعمال روبرت جويسكار «Gesta Roberi Wiscardi» الذى كتبه بعد حوالى ثلاثين عام من معركة ملاذكرد ، بوصف خيـالى بليغ لهذه الاحداث فى بيتى الشعر رقم ٤٤ و ٤٥ بقوله « تطايرت السهام فى الهواء وكان السماء تمطر مطرا منهمرا » (انظر :

Gesta Roberti, p, 91, vers 44-45.

والجدير بالملاحظـة ان الحولية الشعرية لجيـوم الابولى عن ملاذكرد تشابهت الى حد كبير مع رواية اطاليانس ، اضـافة الى استفادته من اقوال بعض الجنود النرمان الذين شاركوا فى مؤلمة ملاذكرد . وكان جيوم يجيد اليونانية ، لذا استفاد ايضا من بعض المصادر البيزنطية الاخرى (انظر Gesta, p. 103 وتفوح من روايته التاريخية ، منـاصرته للامبراطور البيزنطى رومانوس ، كما كان حال اطاليانس . ويتضح ذلك من قوله : « كان الامبراطور البيزنطى اكثر اهتماما وحرصـا على أرواح جنوده ، تماما كحرصه على شخصه » . (انظر :

Gesta, p. 91, vers, 34.

ونستنتج من ذلك انه استمد هذه الرواية نقـلا عن احد مؤيدى رومانوس .

(١٠٢) زودنا ميخائيل السريانى برواية غريبة ، تتنافى بطبيعة الحـال مع ما اورده كل من اريستاكيس اللاستيفرتى ومتى الرهاوى . إذ نسبا كارثة ملاذكرد الى الارمن بسبب انسحابهم من سـاحة القتال فقال : « تمسك الارمن بهرطقتهم الدينية (أى مبدا الطبيعة

الواحدة ، ومعارضة مقررات مجمع خلقدونية الكنسى سنة ٤٥١م) ، وكانوا ول من لاذ بالفرار من ميدان القتال . ونتج عن ذلك انتصار السلاجقة على الجيش البيزنطي » (انظر :

Michel le Syrien, livre XV, ch. III, p. 169.

وفى قوله هذا بعض من الصحة ، مع الاخذ فى الاعتبار ان الوحدة الارمنية لا وزن لها فى الجيش الهائل الذى حشده رومانوس لخوض هذه الحرب الفاصلة . الا ان انسحاب الارمن من ساحة القتال ، ساهم بنصيب فى سحق الجيش البيزنطى نتيجة ما احدثه من خلل فى الصفوف ، ولكن انسحابهم لم يكن السبب الاساسى فى الهزيمة . ويؤيد رأينا هذا ان اطاليطس الذى شارك فى معركة ملاذكرد أشار الى انسحاب الكتيبة الارمنية (انظر :

(Attaliate, p. 158.

اضف الى ذلك ما اوضحه متى الرهاوى عند حديثه عن العلاقات بين البيزنطيين والارمن قبيل معركة ملاذكرد . اذ ذكر ان رومانوس اقسم انه سيفنى الامة الارمنية ومذهبها ، بل وقام جنوده باقامة مذبحة للارمن فى سيواس (للتفاصيل المطولة انظر حاشية رقم ٥٦) . وبذلك كان انسحاب الارمن بمثابة الاخذ بالثأر من عدوهم اللدود رومانوس . على اية حال ، كان من الطبيعى ان يدافع المؤرخ الارمنى اريستاكيس وكذا متى الرهاوى — الذى سبق ان اظهر بوضوح بالغ الحقد والضغينة بين الطرفين — عن دور الارمن فى معركة ملاذكرد ، فحاولا اظهار بنى جنسهم فى مثالية الابطال المخلصين . فلقد ابرز اريستاكيس بوضوح دور الارمن فى ملاذكرد ، وطبيعة المشكلات بينهم وبين الامبراطور البيزنطى والتى تقلبت بين [illegible] حقد

رومانوس على الكتيبة الارمنية في أول الأمر ، ثم تبدل هذه النظرة العدائيــة بسبب شجاعتهم وبسالتهم في القتــال ، فيقــول :
« بلا سبب حقيقي أو ظاهري ، حنق الامبراطور البيزنطي على الكتيبة الارمنية بل وعلى كل الامة الارمنية ، ونظــر الى الارمن جيشا وشعبا باحتقار . لكن شجاعة مقاتلي الارمن جذبت انتباهه، اذ اثبتوا صمودهم وشجاعتهم في مواجهة رماة السهام الفرس، ولم يديروا لهم ظهورهم على الرغم من ان كثيرا من الارمن كان يكن العــداء والكره للامبراطور البيزنطي ومع ذلك لم يخنه الجيش الارمني، وقبل افراده الموت عن طيب خاطر هادفين من ذلك الاستشهاد حتى تظل ذكرى اخلاصهم وبسالتهم خالدة على مر العصور . حينئذ تبدل موقف الامبراطور البيزنطي ، وعبر عن مودته وتقديره لهم ، وعرفانه بالجميل ، ووعدهم بمكافآت سخية . (انظــر **Aristakès, tr. Canard, ch. XXV, p. 126, Arisdagues, tr. Prud'homme, ch. XXV, p. 144; Matthieu d'Edesse, ch. CIII, p. 169.**

(١٠٣) انفرد جيوم الابولي دون غيره من المصادر البيزنطية والاسلامية والارمنية بذكر تفشي المجــاعة في ربوع المعســكر البيزنطي ، واستعدادات رومانوس لبذل قصارى جهده للحفاظ على ارواح جيشه اذ قال : « بعد ان شعر رومانوس بفشله في حماية معسكره من السقوط في قبضة الاتراك السلاجقة (انظر :
Gesta, p. 91, vers 33.

وبعد ان وجد جنوده قد اهلكتهم الحرب والمجاعة (انظر :
Gesta, p. 91, vers 35.

اصدر اوامره باظهــار ونشر المال والملابس الثمينة والاواني

الذهبية والفضية فى ربوع المعسكر ، اذ فور سقوطه ، سينشغل الاتراك السلاجقة بالمنهوبات والغنائم اكثر من إنشغالهم باقامة المذابح للبيزنطيين (انظر

Gesta, p. 91, vers 36-41.

الا ان الجنود المرتزقة استولوا على المال ، ولاذوا بالفرار
Gesta, p. 91, vers 42.

وبذلك تمكن الداهية البيزنطى من انقاذ حياة الكثيرين ، اذ عقب سقوط معسكره : « انشغل السلاجقة بجمع الغنائم اكثر من انشغالهم بقتل جنود الروم ، فأفلت من قبضتهم اعداد هائلة » . Gesta, p. 91, vers 47-49. ومما يذكر ان كل من اطاليطس والمؤرخ المكمل لحولية سكيلتزز اشارا الى ان وحدة من السكيث انضمت الى صفوف السلاجقة لكنهما لم يذكرا شيئا عن عملية سرقة الاموال والكنوز . وقد ادرج اطاليطس هذا الحادث فى اليوم التالى الليلة التى عم فيها الارق ربوع المعسكر البيزنطى ؛ وليس قبلها كما اشار الى ذلك جيوم الابولى . انظر :

Attaliate, p. 157;

Skylitzès Continué, p. 147.

(١٠٤) تذكر المصادر البيزنطية انه بمجيء المساء ، اعتقد رومانوس ان الاتراك السلاجقة سوف لا يخوضون غمار القتال . لذا قرر ايقاف عملياته الحربية قبل اسدال الليل . ولابلاغ ذلك الى جيشه الجرار اصدر أوامره باعادة الراية الامبراطورية الى المعسكر. لكن هذه الاشارة اسيء فهمها وتفسيرها ، اذ إعتقد الجميع ان الإمبراطور قد هزم او توفى . فعمت الفوضى العارمة ربوع المعسكر البيزنطى . وانتهز السلاجقة تلك الفرصة المواتية

لينقضوا على الجيوش البيزنطيــة المنسحبة . ويتهم المؤرخون البيزنطيــون اندرونيك دوقاس بأنه أشـــاع هزيمة الامبراطور البيزنطي وأنه اسرع بالانسحاب من ساحة القتال . (انظـــر :

Attaliate, pp. 161-162; Skylitzès Continué. pp. 148-149; Zonoras, p. 701.

والملاحظ ان برينيوس لم يلصق هذا الاتهام لاندرونيك دوقاس ، لانه يمت بصلة قرابة لأسرته لذلك عمل على ابعاد كل الشبهات عن آل دوقاس ، كما فعل تماما مع جده نقفور برينيوس ورفيق جده في السلاح القائد جوزيف ترخانيوتس .

(١٠٥) Byennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 114-117; tr. H. Grégoire, p. 492.

(١٠٦) اعترف المؤرخ ميخائيل السرياني بشجاعة الامبراطور البيزنطي وبسالته في معركة ملاذكرد اذ قال : « امتاز الامبراطور البيزنطي بالشجاعة والبسالة . فبالرغم من انفضاض الجميع من حوله بما فيهم قادة الجيش والكتيبة الارمنية ، ظل يقاتل بشخصه القوات السلجوقية » . انظر :

Michel le Syrien livre XV, ch. III, p. 169.

(١٠٧) اجمعت المصادر البيزنطية على أن رومانوس قاتل الاتراك السلاجقة بشجاعة وبسالة . كذلك سلط اريستاكيس الاضواء الساطعة على رومانوس ، واظهره بمظهر البطل الاسطوري ، فتحدث عن موقفه بعد انضمام الغزالي اعدائه السلاجقة ، وكيفية معالجته للخلل الذي دب في صفوف جيشه . والقى الضوء على شجاعة الامبراطور في تقبل المخــاطر ، وانخراطه بشخصه في صفوف

جيشه ، فيقول اريستاكيس في هذا الصدد : « اما الامبراطور البيزنطى ، فقد القى ببصره على الاعداء ، فرأى ان جزءا من جيوشه قد لاذ بالفرار . فارتدى في الحال ملابسه العسكرية ، وتسلح الحسن تسليح ، وانطلق كالبرق الى ساحة الوغى . واستطاع ان يقتل العديد من قادة الاتراك السلاجقة ، فنشر الذعر في صفوفهم » (انظر :

(Aristakes, tr. Canard, XXV, p. 126.

ولقد ذكر اطاليطس ان السلطان السلجوقى لم يتمكن من التعرف على الامبراطور البيزنطى ، لأن ملابسه العسكرية كانت تشبه تماما ملابس الجندى البيزنطى العادى (انظر :

Attaliate, p. 164.

الا ان هذه الرواية تتعارض مع رواية كل من بسيللوس وجيوم الابولى . فيذكر بسيللوس ان رومانوس ارتدى ملابسه الامبراطورية ، وكان مستعدا بكل أسلحته (انظر :

Psellos, II, p. 162.

اما جيوم الابولى ، فقد كان اكثر اسهابا من بسيللوس اذ أورد : « ان زعيم الروم كان واضحا للعيان بعلامات النسر المشرقة الساطعة ببريقها دون كل الاسلحة ، اذ كانت مرصعة بالذهب على درعه » (انظر :

Gesta, p. 91, vers 50-52.

وبدراسة مقارنة مع المصادر الاسلامية نلاحظ ان رواية اطاليطس هي الصحيحة ، ذلك لأن الغلام الذى اسر رومانوس لم يتعرف

عليه . ففى هذا يقـــول سبط بن الجوزى : « واستدعى (اى السلطان) الغلام ، وسأله كيف أسرته ، فقال : رأيت فارســا وعلى رأسه صلبـــان ، وحوله جمـــاعة من الخدم الصقالبة . فحملت عليه لأطعنه ، فقال لى واحد منهم لا تفعل فهـــذا الملك » (انظر مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٤ ــ ٣٧٥) . العينى عقد الجمان ، احداث سنة ٤٦٣هـ ، ورقة ٢٦٦) . كذلك يجب ان نضع فى اعتبـــارنا ان اطالياطس شـارك بشخصه فى معـــركة ملاذكرد ، وتكاد تكون روايته عنها تحتل مركز الصدارة :

(١٠٨) نلاحظ ان بريينيوس نقل الخمسة اسطر السابقة عن بسيللوس . انظر

Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, p. 117, lignes 15-20.

وقارنه مع Psellos, II, pp. 162-168.

انظر ايضا :

Gesta, pp. 91-92, vers 50-56.

(١٠٩) للتفاصيل عن كيفيـــة اسر الامبراطور رومانوس انظـــر سبط ابن الجـــوزى : مـــرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٤ ــ ٣٧٥ ، العينى : عقـــد الجمان ، احداث ســـنة ٤٦٣ ، ورقة ٢٦٦ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٨ ، ص١١٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص٢٨ . انظر ايضا :

Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 127; Michel le Syrien, III, p. 169.

ولقد اخطأ المؤرخ النورمانى ايمى المونت كاسانى Aimé du

Mont Cassin حين قال ان الاتراك السلاجقة اسروا رومانوس وروسيل بايللول وكل فرسانهما . فنص روايته بالفرنسية القديمة الآتى :

«Mes, pour lo juste de Dieu, li Turc orent la victoire et fu grand mortalite de Chretiens. Et Auguste et Urselle furent prison. Et ensi ces. II., O tout lor chevaliers furent menez en prison».

انظر

Storia de Normanni di Amato de Montecassino volgarizzata in antico francese, a cura di Vicenzo De Bartholomaeis, Istituto Storico Italiano per il Medio Evo, Fonti per la Storia d'Italia, Roma, 1935, I, 9.

(١١٠) أشار ايمى المونت كاسانى Aime du Mont-Cassin الى حسن معاملة السلطان السلجوقى لاسيره بقوله :

Et de lo Duc de li Turc furent honorablement Receiiz

(صيغة الجمع لانه كان يقصد رومانوس وبايللول)

انظر Storia de Normanni, I. 9.

وقد اجمعت كافة المصادر على ذلك . للتفاصيل انظر :

Attaliate, pp. 163-166; Skylitzès Continué, pp. 150-152; Zonoras, pp. 701-703; Psellos, II, p. 164; Gesta. p. 92, vers 58-59; Aristakès, tr. Canard, XXV, p. 127.

انظر ايضا سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٩ ، ورقتى ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ، العينى : عقد الجمان ، احداث ٤٦٣هـ ورقة ٣٦٧ .

(١١١) اختلفت المصادر فى تحديدها تاريخ معركة ملاذكرد ، فادرجهـا البعض تحت احداث يوم الجمعة ١٩ اغسطس سنة ١٠٧١م/٧ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . اما البعض الآخر فادرجها يوم الجمعة ٢٦ اغسطس سنة ١٠٧١م/١٤ ذى القعدة سنة ٤٦٣هـ . والرای الثـانى هو الاصـوب ، اذ ان مؤرخا بيزنطيا معـاصرا يدعى اثينيسيى **Atheniensis** ادرجها تحت هذا التاريخ وقد خلص الى ذلك بول جوتييه احدث من قام بتحقيق وترجمـة حوليـة برينيوس الى الفرنسية . انظر :

Bryennios, tr. Gautier, p. 117, n. 9. Cf. Grousset, Arménie, p. 628; Laurent, Byzance et les Turcs Seldjoucides, p. 43, n. 10; Honigmann, Ostgrenze,, p. 190.

(١١٢) عن بعض اسماء القتلى والاسرى انظر :

Attaliate, p. 167; Skylitzès Continué, p. 152.

(١١٣) كان المؤرخ البيزنطى اطالياطس من بين الذين لاذوا بالفرار من سـاحة الوغى . وعلم وهو فى طرابيزون بنبـأ اطلاق سـراح رومانوس . انظر :

Attaliate, p. 167.

(١١٤) **Bryennios, tr. Gautier, I, XVII, pp. 116-119; tr, H. Grégoire, pp. 492-493.**

(١١٥) راينا عدم الدخول فى تفاصيل الاحداث التالية لهزيمة ملاذكرد ، من اسر العاهل البيزنطى وحسن معاملة الب ارسلان لاسيره ، ثم اطلاق سراحه بعد ابرام اتفاقية سلام ، وما حدث من تبـدل الاوضاع راسا على عقب فى داخل الامبراطورية البيزنطيـة ، وغيرها من التفاصيل المعروفة فى كافة المراجع . وانما كان الهدف

الاوحد من البحث هو التركيز على التفاصيل الدقيقة لنفس معركة ملاذكرد ، متبعدين عن احوال الامبراطورية البيزنطية وسلطنة السلاجقة قبيل معركة ملاذكرد . وتجنبنا أيضا ختام بحثنا بنتائج هذه المعركة الحاسمة لأن كل هذه المعطيات معروفة فى المراجع ومتداولة . اذن كان هدفنا الاوحد هو الاتيان بالجديد .

ثبت المصـــــادر والمراجع

اولا : المصـــادر الاصلية :

(أ) المخطوطات والمصورات العربية .

(ب) المصادر العربية المنشورة .

(جـ) المصادر الاجنبية .

ثانيا : المراجع الثـــانوية :

(أ) المراجع العربيـــــة .

(ب) المراجع الاجنبيـــة .



اولا : المصـــــادر الاصليـــة

(أ) المخطـــوطات والمصـــــورات العربيـــــة

ابن الجوزى « سبط » (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م) ابو المظفر شمس الدين يوسف قزاؤغلى : « مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » ــ جـ٩ ــ دار الكتب المصرية ــ رقم ٩٢٧٦ج .

ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) ابو القاسم عمر بن احمد بن عبد الله : « بغيـــة الطلب فى تـــاريخ حلب » ــ دار الكتب المصـــــرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .

العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى : « عقد الجمـــان فى تاريخ أهل الزمان » ــ ٢٣ جزء فى ٦٩ مجلدا ــ دار الكتب المصرية ــ رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(ب) المصادر العربية المنشورة

ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ابو الحسن بن ابى الكرم الملقب عز الدين : « الكامل فى التاريخ » ــ ١٣ جزء ــ بيروت ١٩٦٥م .

ابن الازرق الفارقى (ت ٥٧٢هـ/١١٧٧م) احمد يوسف بن على بن الازرق : « تاريخ الفارقى » ــ تحقيق بدوى عبد اللطيف ــ بيروت ١٩٧٤م .

ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمد : « رحلة ابن جبير » ــ بيروت ١٩٧٩م .

ابن الجوزى (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) جمال الدين ابو الفرج بن عبد الرحمن ابن على « المنتظم فى تاريخ الملوك والامم » ــ حيدر آباد الدكن ــ ١٣٥٨هـ .

ابن حوقل (ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) ابو القاسم النصيبى :

« كتاب صورة الارض » ــ بيروت ١٩٧٩م .

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد :

« العبر وديوان المبتدا والخبر » ــ سبعة اجزاء ــ بيروت ١٩٥٨م .

ابن سعيد المغربى (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) أبو الحسن على بن موسى :

« كتاب الجغرافيا » ــ تحقيق اسماعيل العربى ــ الجزائر ١٩٨٢م .

ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) ابو الفضل محمد بن الشحنة الحلبى :

« الدر المنتخب فى تاريخ حلب » ــ بيروت ١٩٠٩م .

ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله :
« زبدة الحلب فى تاريخ حلب » — ثلاثة اجزاء — تحقيق سامى الدهان — دمشق ١٩٦٨م .

ابن فضلان (القرن الرابع الهجري) احمد بن فضلان بن عباس بن راشد ابن حماد : « رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة الى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة٣٠٩هـ/٩٢١م » — تحقيق سامى الدهان — دمشق ١٩٥٩م .

ابن الفقيه (مات فى اواخر القرن الثالث الهجرى) ابو بكر احمد بن محمد الهمذانى : « كتاب البلدان » — ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م .

ابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ابو يعلى حمزة بن اسد بن على بن محمد :
« ذيل تاريخ دمشق » —بيروت ١٩٠٨م .

ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر :
« البداية والنهاية » — ١٤ جزء — بيروت ١٩٦٦م .

ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) محمد بن على :
« تاريخ مصر » — نشر هنرى ماسيه — القاهرة ١٩١٩م .

ابن النظام الحسينى :
« العراضة فى الحكاية السلجوقية » — تحقيق عبد المنعم حسنين — بغداد ١٩٧٩م

ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر :
« تتمة المختصر فى اخبار البشر » — ٢ — جـ — القاهرة ١٢٨٥هـ .

ابو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن على :

١ ــ « تقويم البلدان » ــ نشر رينو ديسلان ــ باريس ١٨٤٠م .

٢ ــ « المختصر فى اخبار البشر » ــ ٢ ج ــ المطبعة الحسينية بالقاهرة .

أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ــ ١٦ ج ــ القاهرة ١٩٧٢م .

البغدادى (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق :
« مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع » ــ ٣ اجزاء ــ تحقيق على محمد البجاوى ــ القاهرة ١٩٥٤م .

البندارى الاصفهانى (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) عماد الدين محمد بن حامد الاصفهانى : « تاريخ دولة آل سلجوق » ــ هذبه الفتح البندارى ــ بيروت ١٩٧٨م .

البلاذرى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البغدادى :
« فتوح البلدان » ــ تحقيق صلاح المنجد ــ ٣ ج ــ دار النهضة العربية بالقاهرة .

البيهقى (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٨م) ابو الفضل محمد بن حسين :

«تاريخ مسعودى المعروف تاريخ البيهقى» ــ ترجمة يحيى الخشاب ــ القاهرة ١٩٥٦م .

الحسينى (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٤م) صدر الدين ابو الحسن على الحسينى :

« زبدة التواريخ اخبار الامراء والملوك السلجوقية » ــ تصحيح محمد اقبال ــ لاهور ١٩٣٣م .

خواندمير (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) غياث الدين محمد بن همام الدين :

« دستور الوزراء » — ترجمة حربى امين — القاهرة ١٩٨٠م .

الدواداری (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ابو بكر بن عبد الله بن ايبك :

« الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية » — تحقيق صلاح المنجد — القاهرة ١٩٦١م .

الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) ابو عبد الله بن محمد بن احمد بن عثمان قايماز :

« دول الاسلام » — ٣ ج — القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

الراوندى (ت ٥٩٩هـ/١٢١٢م) محمد بن على بن سليمان الراوندي :

« راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية » — ليدن ١٩٢١م

العظيمى (ت ٥٥٦هـ/١١٦١م) محمد بن على التنوخى الحلبى :

« تاريخ العظيمى » — نشره كلود كاهن — فى الجريدة الاسيوية J.A.., Juillet-Septembre, 1938, t. CCXXX.

الفارقى (ت ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) احمد بن يوسف على بن الازرق الفارقى :

«تاريخ الفارقى» — بيروت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

القزوينى (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ابو عبد الله زكريا بن احمد بن محمود القزوينى:

« آثار البلاد واخبار العباد » — دار صادر بيروت (بدون تاريخ) .

قزوينى : حميد الله بن ابى بكر احمــد :

« تاريخ كزيدة » — بمباى ١٣٧٣هـ .

القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) احمد بن على بن احمد بن عبد الله :

« صبح الاعشى فى صناعة الانشاء » — ١٤ج — القاهرة ١٩١٣ — ١٩٢٠م .

المقدسى (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) شمس الدين ابو عبد الله محمــد :

(احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » — ليدن ١٩٠٦م .

ياقوت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى البغدادى:

« معجم البلدان » — بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧م .

(ج) المصــــادر الاجنبيـــة

Aimé du Mont Cassin, Storia de' Normanni di Amato di Montecassino volgarizzata in antico francese, a Cura di Vicenzo De Bartholomaeis, Istituto Storico Itoliano per il Medio Evo, Fonti per la Storia d'Italia, Roma, 1935.

Anne Comène, Alexiade, tr. Bernard Leib, Paris, 1937, 1943, 1945.

Arisdaguès de Lasdiverd, Histoire d'Arménie, tr. Prud'homme, Paris,1864.

Aristakes de Lastivert, Récit des Malheurs de la Nation Arménienne, tr. Marius canard, Bruxelles, 1973.

Asolik, Histoire Universelle, 1ère partie, tr. E. Dulaurier, Paris, 2e Partie, tr. F. Macler, Paris, 1917.

Brosset, M., Histoire de la Géorgie depuis l'antiquité jusqu'au XIXe siécle. St. Pét., 1849-1858, 5 vols.

Bryennii Nicephori Historiarum libri quattuor, tr. Paul Gautier, Bruxelles, 1975.

Bryennios, Les quatres livres des Histoires, tr. Henri Grégoire, dans.

Byzantion, XXIII, 1953, pp. 881-926, livres III-IV.

Bryennius, Testimonis Veterum. ed. Auguste Meineke, in C.S.H.B., Bonn, 1836.

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, tr. R.J.H. Jenkis, Budapest, 1949 vol, I; Commentary, vol II.

قسطنطين السابع بورفيرو جنيتـــوس : « ادارة الامبراطورية

البيزنطية » ــ ترجمة الدكتور محمود سعيد عمــران ــ بيروت ١٩٨٠م .

Georges et Démétrios Tornikés, Lettres et discours. ed. J. Darrouzés, Paris, 1970.

Guillaume d'Apulie, Les Gesta Roberti Wiscardi, tr. M. Matthieu, dane Byzantion, t. XX, 1950.

Ioannes Skylitzes Continuatus, ed. Th. Tsolakés, Thessalonique, 1968.

Lazare de Parb, Histoire d'Arménie, dans V. Langlois, Collection des Historiens Arméniens, t. II, pp. 253-368, Paris, 1869.

Leonis Diaconi Calocensis Historiae Libri Decem et Liber de Velitatione Bellica Nicephori Auqusti, éd. C.B. Hase in C.S.H.B., Bonn, 1828.

Matthieu d'Edesse, Chronique, tr. Dulaurier, Paris, 1858.

Michaelis Attaliotae, Historia, ed. I. Bekker, dans C.S.H.B., Bonn, 1853.

Michel le Syrien, Chronique, tr. J.B. chabot, Paris, 1899, 4 vols.

Nicetae choniatae, Historia, ed. I, Bekker, dans C.S.H.B., Bonn, 1835.

Psellos, Chronographie, tr. Emile Renauld, Paris, 1926-1928.

Skylitzés, Synopsis Historiarum, new éd. I, Thurn, Berlin, 1973.

Skylitzés — Cedrenus, Georgius Cedrenus Ioannis Scylitzae ope suppletus et emendatus. ed. I. Bekker, II, dans C.S.H.B., Bonn, 1839.

Thomas Ardzrouni, Histoire des Ardzrouni, tr. Brosset, St. Pét., 1874. 1876.

Vita Euthymii, Patriarche de Constantinople 906-911, ed. de Boor, Berlin, 1888.

Zonoras, Ioannis Zonorae Epitomae Historiarum, ed. Th. Büttner — Wobst, III, C.S.H.B., Bonn, 1897.

المراجع الثـــانوية

(أ) ثانيا ــ المراجع العربية

اسمت محمود غنيم (الدكتورة) :

« معركة منزيكرت فى ضوء وثائق بسيللوس » ــ مقال بمجلة كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية .

السيد البـــاز العرينى (الدكتور) :

١ ــ « المغول » ــ بيروت ١٩٨١م .

٢ ــ « الدولة البيزنطية » ــ القاهرة ١٩٦٥م .

حسين أمين (الدكتـــور) :

« العراق فى العصر السلجوقى » ــ بغداد ١٩٦٥م .

سهيل زكار (الدكتـــور) :

« مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية » ــ دار الفكر ١٩٧٥م .

عبد المنعم محمد حسنين (الدكتـــور) :

« سلاجقة ايران والعراق » ــ القاهرة ١٩٧٠م .

فايز نجيب اسكندر (الدكتـــور) :

١ ــ « الفتوحات العربية لارمينية ، دراسة تاريخية ــ اولا : حملة العرب الاولى على ارمينية سنة ١٩هـ/٦٤٠م » ــ مقـــال بمجلة سيرتا ــ العدد ٩/٨ ــ جامعة قسنطينة ١٩٨٣م .

٢ ــ « أرمينية بين البيزنطيين والاتراك السلاجقة فى ضوء كتابات جيفوند » ــ الاسكندرية ١٩٨٢م .

٣ ــ « ارمينية بين البيزنطيين والخلفاء الراشدين فى ضوء كتابات اريستاكيس اللستيفرتى » ــ الاسكندرية ١٩٨٣م .

فتحى عثمان (الدكتــــور) :

« الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحــربى والاتصــال الحضارى » ــ ٣ مجلدات ــ القاهرة ١٩٦٦م .

وســـام عبد العـــزيز فرج (الدكتـــور) :

« دراســـات فى تاريخ وحضـــــارة الامبراطورية البيزنطيـــة » ــ الاسكندرية ١٩٨٢م .

(ب) المراجع الأجنبية

Le Bas, L'Asie Mineure depuis les temps les plus anciens jusqu'a la Bataille d'Ancyre en 1402, Paris, 1973.

Bréhier, L.,

1. Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclesiastiques, Paris, 1938. pp. 996-998.
2. Les Institutions de l'Empire Byzantin, Paris, 1949.
3. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1969.

Bury, J.B., Eastern Roman Empire, London, 1889.

Cahen, Cl.,

1. La première Pénétration Turque en Asie Minèure, Dans Turcobyzantina, London, 1974, fasc. I.
2. La Campagne de Mantzikert d'Après les sources Musulmanes, dans Turcobyzantina, London. 1974, fasc. II.
3. La Syrie du Nord à l'Epoque des Croisades, Paris, 1940.
4. Pre — Ottoman Turkey : A General Survey of the Material and Spiritual Culture and History. C. 1071-1330, London, 1968.
5. L'Iran du Nord — Ouest en face à l'expansion Seldjukide, dans Turcobyzantina, fasc. VI.

Canard, M., Histoire de la Dynastie des Hamdanides, Paris, 1953.

Carile,

1. Il problema della identificazione del Cesare Niceforo Briennio, Aevum, 38/I-II, 1964, pp. 74-83.

2. Il «Cesare» Niceforo Briennio, Aevum, 42/V-VI, 1968, pp. 429-454; Aevum, 43, VII, 1969, pp. 56-87.

Cavallera, f.,

Dictionnaire de Theologie Catholique, art. Poussines Pierre, XII, 2, Paris, 1935, col; 2668-2670.

Charanis, p., The Byzantine Empire in Eleventh Century, dans A History of the Crusades, ed. K.M. Setton, London, 1969, pp. 177-220.

Cousin, M., Histoire de Constantinople depuis le règne de l'ancien Justin jusqu'a la fin de l'empire, traduite sur les originaux

grecs, III, Paris, 1685.

Diehl, ch.,

1. Justinien et la Civilisation Byzantine au XIe siecle, Paris, 1901.

2. Le Titre de Proedre, dans Melanges Schlumberger, t. I. Gautier, p., Etude Prosopographique, dans R.E.B., 29, 1971.

Grousset, R.,

1. Histoire de l'Armenie, Paris, 1973

2. L'Empire du Levant, Paris, 1946.

Guilland, Recherches sur les Institutions Byzantines, 2 vols, Berlin, 1967.

Honigmann, E., Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches von 363 bis 1071, Bruxelles, 1935.

Janin, Constantinople Byzantine. Paris, 1964.

Laurent,

1. Byzance et les Turcs Suldjoucides dans l'Asie Occidentale jusqu'en 1081, Nancy — Paris, 1919.

2. L'Arménie entre Byzance et L'Islam. Nouvelle edition par Marius Canard, Lisbonne, 1980.

3. La Chronologie des Gouverneures d'Antioche sous la seconde Domination Byzantine, Mélanges de l'Université Saint — Joseph, 38/10, 1962.

Lemerle, P.

1. Acte de Kutlumus, Paris, 1945.

2. Le Typikon de Grégoire Pakourianos (Decembre 1083), dans cinq Etudes sur le XIe siecle Byzantin, Paris, 1977, art. III.

3. Le Testament d'Eustathios Bollas (Avril 1059), dans cinq Etudes, art. I.

4. Byzance au Tournant de son destin, dans cinq Etudes, art. V.

Lot, F., L'Art Militaire et lés Armées au moyen Age, Paris, 1946, 2 vols.

Manandian, H.A., The trade and Cities of Armenia in Relation to the Ancient World trade, tr. G. Garsoian, Lisbonne, 1965.

Polemis, the Doukai. A Contribution to Byzantine Presegraphy, Londres, 1968.

Rice, T.T., Byzantium, London, 1969.

Schlumberger, G., L'Epopée Byzantine à la fin du dixieme siècle, Paris, 1896-1905, 3 vols.

Seger, Byzantinische Historiker des Zehnten und eltten Jahrhunderts. I. Nicephoros Bryennios. Eine philologisch — Historische Unterschung, Munich, 1888.

Vasiliev, A.A.,

1. Histoire de l'Empire Byzantin, Paris, 1932, 2 vols.

2. History of the Byzantine Empire, U.S.A., 1958, 2 vols.

Weiss; Biographie Universelle Ancienne et Moderne, 35, Paris, 1823, pp. 586-588.

Wittek-De Jongh, le Cesar Nicephore Bryennios. L'Historien et ses ascendants, Byzantion, XXV, 1953, pp. 463-468.

محتويات الكتاب

دار نشر الثقافة بالإسكندرية
١٣ شارع حسبو منشا ــ محرم بك
ت : ٢٠٦٢٥ / ٣٤١٩٨